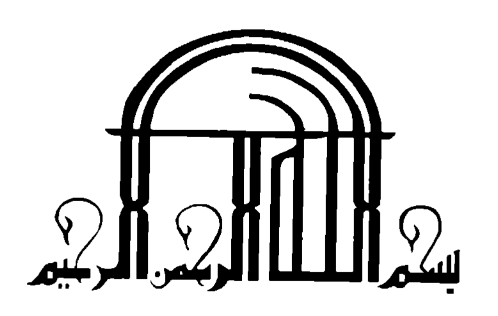
الإعجاز العلمي في القرآن



جمع وإعداد
مازن مغايري

مراجعة وتدقيق
أ. عبدالله سندة

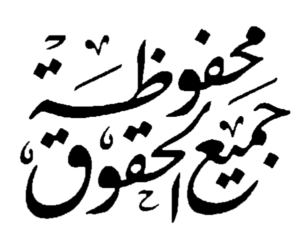




الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

جمع وإعداد
مازن مغايري

دارالرضوان
حلب ـــ مقابل صالة الأسد
هاتف : ٢٢٣٣٥٦٢



طبع هذا الكتاب بموافقة وزارة الإعلام
في الجمهورية العربية السورية
رقم / ٧٤٦٦١ /
٢٠٠٤



إن القرآن كلام الله المتعبد بتلاوته إلى يوم القيامة . ومعنى ذلك : أنه لا يجوز أن يحدث تصادم بينه وبين الحقائق العلمية في الكون ؛ لأن القرآن الكريم لا يتغير ولا يتبدل ، ولو حدث مثل هذا التصادم لضاعت قضية الدين كلها . . ولكن التصادم يحدث بين شيئين عند عدم فهم حقيقة قرآنية ، أو عدم صحة حقيقة علمية . . فإذا لم نفهم القرآن جيدا وفسرناه بغير ما فيه : حدث التصادم . .

وإذا كانت الحقيقة العلمية كاذبة : حدث التصادم . .

وفي هذا الكتاب تمّ جمع وإعداد الحقائق التي تثبت إعجاز كتاب الله [العلي العظيم] من الكتب والأبحاث التي تشير إلى ذلك وتقدم الأدلة القوية عليه .

وقد تم ترتيب ذلك بأبواب منفصلة حسب المواضيع التي تشير الى هذة الإعجازات .

وهذا غيض من فيض ونرجو من الله [سبحانه وتعالى] أن نكون قد وفقنا في ذلك .

ولله الحمد

اتساع الكون

أهم اكتشاف في سنة ١٩٢٩ كان وقعه كالقنبلة ، عندما نشر في الأوساط العلمية ، حتى تلك اللحظة كان الاعتقاد السائد أن المجرات تسير في حركة عشوائية تشابه حركة جزئيات الغازات بعضها في تقارب ، والبعض الآخر في تباعد ، ولكن هذا الاكتشاف قلب ذلك الاعتقاد رأساً على عقب .

لقد اكتشف (هابل) أن كل هذه الملايين المؤلفة من المجرات في ابتعاد مستمر عن بعضها بسرعات هائلة قد تصل في بعض الأحيان إلى كسور من سرعة الضوء وكذلك بالنسبة لنا فكل المجرات التي نراها حولنا ـ ما عدا الأندروميدا وبعض المجرات الأخرى القريبة ـ في ابتعاد مستمر عنا .

ولنا الآن أن نتساءل عن معنى هذا الاكتشاف ؟ إذا كانت وحدات الكون كلها في ابتعاد مستمر عن بعضها فإن ذلك لا يعنى إلا شيئاً واحداً وهو : أن الكون في تمدد حجمي أو اتساع مستمر قال تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ . [سورة الذاريات : ٤٧] .

الضوء كما نعلم مركب من سبعة ألوان ، وكل لون منهم له موجة ذات طول وذبذبة معينة ، وأقصر موجة أعلى ذبذبة هي موجة اللون الأزرق ، وأطولها أوقلها ذبذبة هي موجة اللون الأحمر ، وعندما حلل (هابل) الضوء الصادر عن المجرات التي درسها وجد أنه في جميع الحالات ـ [ماعدا في حالة الأندروميدا وبعض المجرات الأخرى القريبة] يحدث انزياح تجاه اللون الأحمر ، وكلما زاد مقدار الانزياح الأحمر زادت بُعداً المجرات عنا ، وبعد اكتشاف هذا الأمر ظهرت دلائل كميات كبيرة من الفجوات المظلمة ، وخلف

هذه الفجوات جَذْبٌ هائل يؤدي بنا إلى الانزياح الأحمر ؛ بحيث يتمدد الكون ويتسع من نقطة البداية إلى الإشعاع الأحمر.. قد تبدو الآن معاني الآية الكريمة قريبة إلى أذهاننا بعد توصل العلم إلى حقيقة أن الكون له بداية يتسع منها ويتمدد ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ يقول سبحانه : إنا بنينا السماوات وإنا لموسعون قولاً لا يحتمل التأويل ، وهذا ما يحدث للكون الآن [بل ومنذ بلايين السنين] من اتساع وتمدد مستمر ، وهاهي السموات تتسع والكون يتمدد ، وكما لاحظنا أن هذه الحقيقة ليست قائمة على نظرية أو افتراض أو نموذج فحسب؛ ولكن المشاهدات قد أثبتت هذه النظرية ، واتفاق التجارب التي قام بها الكثير من الفلكيين في أزمان وأماكن مختلفة قد جعلت من هذه النظرية حقيقةً علميةً ، إذ لم يظهر حتى الآن ما قد يعارضها أو ينال من صحتها ، فأصبحت حقيقة اتساع الكون كحقيقة دوران الأرض حول الشمس أو كروية الأرض .

** ** **

إثبات كروية الأرض

إن القرآن كلام الله المتعبد بتلاوته إلى يوم القيامة. ومعنى ذلك: أنه لا يحدث تصادم بينه وبين الحقائق العلمية في الكون.. لأن القرآن الكريم لا يتغير ولا يتبدل، ولو حدث مثل هذا التصادم لضاعت قضية الدين كلها.. ولكن التصادم يحدث من عدم فهم حقيقة قرآنية أو عدم صحة حقيقة علمية.. فإذا لم نفهم القرآن جيدا وفسرناه بغير ما فيه: حدث التصادم، وإذا كانت الحقيقة العلمية كاذبة: حدث التصادم، ولكن كيف لا نفهم الحقيقة القرآنية؟..

سنضرب مثلا لذلك ليعلم الناس أن عدم فهم الحقيقة القرآنية قد تؤدي إلى تصادم مع حقائق الكون.. الله [سبحانه وتعالى] يقول في كتابه العزيز: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا﴾ [سورة الحجر ١٩].

المد: معناه البسط.. ومعنى ذلك: أن الأرض مبسوطة.. ولو فهمنا الآية على هذا المعنى لا تّهمنا كل مَنْ تحدّث عن كروية الأرض بالكفر خصوصا أننا الآن [بواسطة سفن الفضاء والأقمار الصناعية] قد استطعنا أن نرى الأرض على هيئة كرة تدور حول نفسها.. نقول: إن كل من فهم الآية الكريمة ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا﴾ بمعنى أن الأرض مبسوطة لم يفهم الحقيقة القرآنية التي ذكرتها هذه الآية الكريمة.. ولكن المعنى يجمع الإعجاز اللغوي والإعجاز العلمي معاً ويعطي الحقيقة الظاهرة للعين والحقيقة العلمية المختفية عن العقول في وقت نزول القرآن؛ عندما قال الحق [سبحانه وتعالى]: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا﴾ أي بسطناها.. أقال أي أرض؟ لا.. لم يحدد أرضاً

بعينها . . بل قال : (الأرض) على إطلاقها . . ومعنى ذلك : أنك إذا وصلت إلى أي مكان يسمى أرضا تراها أمامك ممدودة أي منبسطة . . فإذا كنت في القطب الجنوبي أو في القطب الشمالي . . أو في أمريكا أو أوروبا أو في أفريقيا أو آسيا . . أو في أي بقعة من الأرض . . فإنك تراها أمامك منبسطة . . ولا يمكن أن يحدث ذلك إلا إذا كانت الأرض كروية . . فلو كانت الأرض مربعة أو مثلثة أو مسدسة أو على أي شكل هندسي آخر . . فإنك تصل فيها إلى حافة . . لا ترى أمامك الأرض منبسطة . . ولكنك ترى حافة الأرض ثم الفضاء . . ولكن الشكل الهندسي الوحيد الذي يمكن أن تكون فيه الأرض ممدودة في كل بقعة تصل إليها هي أن تكون الأرض كروية . . حتى إذا بدأت من أي نقطة محددة على سطح الكرة الأرضية ثم ظللت تسير حتى عدت إلى نقطة البداية ؛ فإنك طوال مشوارك حول الأرض ستراها أمامك دائما منبسطة . . وما دام الأمر كذلك فإنك لا تسير في أي بقعة على الأرض إلا وأنت تراها أمامك منبسطة ، وهكذا كانت الآية الكريمة ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا ﴾ لقد فهمها بعض الناس واستدلوا منها على أن الأرض مبسوطة ، وفي هذا دليل على كروية الأرض . . وهذا هو الإعجاز في القرآن الكريم . . يأتي باللفظ الواحد ليناسب ظاهر الأشياء ويدل على حقيقتها الكونية .

ولذلك فإن الذين أساؤوا فهم هذه الآية الكريمة وأخذوها على أن معناها أن الأرض منبسطة . . قالوا : هناك تصادم بين الدين والعلم . . والذين فهموا معنى الآية الكريمة فهما صحيحا قالوا : إن القرآن الكريم هو أول كتاب في العالم ذكر أن الأرض كروية وكانت هذه الحقيقة وحدها كافية بأن يؤمنوا . . ولكنهم لا يؤمنون

وهكذا نرى الإعجاز القرآني . . فالقائل هو الله . . والخالق هو الله . . والمتكلم هو الله . . فجاء في جزء من آية قرآنية ليخبرنا : أن الأرض كروية وأنها تدور حول نفسها . . ولا ينسجم معنى هذه الآية الكريمة إلا بهاتين

الحقيقتين معاً . . هل يوجد أكثر من ذلك دليل مادي على أن الله هو خالق هذا الكون ؟ ثم يأتي الحق [سبحانه وتعالى] ليؤكد المعنى في هذه الحقيقة الكونية لأنه [سبحانه وتعالى] يريد أن يُري خلقه آياته فيقول : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾ [سورة الزمر ٥] .

وهكذا يصف الحق [سبحانه وتعالى] بأن الليل والنهار خُلقَا على هيئة التكوير . . وبما أن الليل والنهار وُجدا على سطح الأرض معاً فلا يمكن أن يكونا على هيئة التكوير . . إلا إذا كانت الأرض نفسها كروية . بحيث يكون نصف الكرة مظلما والنصف الآخر مضيئاً ، وهذه حقيقة قرآنية أخرى تذكر لنا أن نصف الأرض يكون مضيئا والنصف الآخر مظلما . . فلو أن الليل والنهار وجدا على سطح الأرض غير متساويين في المساحة . بحيث كان أحدهما يبدو شريطا رفيعا . . في حين يغطي الآخر معظم المساحة ، ما كان الاثنان معا على هيئة كرة . . لأن الشريط الرفيع في هذه الحالة سيكون في شكل مستطيل أو مثلث أو مربع . . أو أي شكل هندسي آخر حسب المساحة التي يحتلها فوق سطح الأرض . . وكان من الممكن أن يكون الوضع كذلك باختلاف مساحة الليل والنهار . . ولكن قوله تعالى : ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ﴾ دليل على أن نصف الكرة الأرضية يكون ليلا والنصف الآخر نهاراً ، وعندما تقدم العلم وصعد الإنسان إلى الفضاء ورأى الأرض وصورها . . وجدنا فعلا أن نصفها مضيء ونصفها مظلم كما أخبرنا الله [سبحانه وتعالى] ، فإذا أردنا دليلا آخر على دوران الأرض حول نفسها فلابد أن نلتفت إلى الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [سورة النمل ٨٨]

عندما نقرأ هذه الآية ونحن نرى أمامنا الجبال ثابتة جامدة لا تتحرك

نتعجب . . لأن الله [سبحانه وتعالى] يقول : ﴿ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ﴾ ومعنى ذلك أن رؤيتنا للجبال ليست رؤية يقينية . . ولكن هناك شيئا خلقه الله [سبحانه وتعالى] وخفي عن أبصارنا . . فمادمنا نحسب فليست هذه هي الحقيقة . . أي أن ما نراه من ثبات الجبال وعدم حركتها . . ليس حقيقة كونية . . وإنما إتقان من الله [سبحانه وتعالى] وطلاقة قدرة الخالق . . لأن الجبل ضخم كبير بحيث لا يخفى عن أي عين . . فلو كان حجم الجبل دقيقا لقلنا لم تدركه أبصارنا كما يجب . . أوأننا لدقة حجمه لم نلتفت إليه هل هو متحرك أم ثابت . . ولكن الله خلق الجبل ضخما يراه أقل الناس إبصارا حتى لا يحتج أحد بأن بصره ضعيف لا يدرك الأشياء الدقيقة وفي نفس الوقت قال لنا : إن هذه الجبال الثابتة تمر أمامكم مر السحاب . ولماذا استخدم الحق [سبحانه وتعالى] حركة السحب وهو يصف لنا تحرك الجبال ؟ . . لأن السحب ليست ذاتية الحركة . . فهي لا تتحرك من مكان إلى آخر بقدرتها الذاتية . . بل لابد أن تتحرك بقوة تحرك الرياح ولو سكنت الريح لبقيت السحب في مكانها بلا حركة . . وكذلك الجبال .

الله [سبحانه وتعالى] يريدنا أن نعرف أن الجبال ليست لها حركة ذاتية أي أنها لا تنتقل بذاتيتها من مكان إلى آخر . . فلا يكون هناك جبل في أوروبا ، ثم نجده بعد ذلك في أمريكا أو آسيا . . ولكن تحركها يتم بقوة خارجة عنها هي التي تحركها . . وبما أن الجبال موجودة فوق الأرض . . فلا توجد قوة تحرك الجبال إلا إذا كانت الأرض نفسها تتحرك ومعها الجبال التي فوق سطحها . وهكذا تبدو الجبال أمامنا ثابتة لأنها لا تغير مكانها . . ولكنها في نفس الوقت تتحرك لأن الأرض تدور حول نفسها والجبال جزء من الأرض ، فهي تدور معها تماما كما تحرك الريح السحاب . . ونحن لا نحس بدوران الأرض حول نفسها . . . ولذلك لا نحس أيضا بحركة الجبال ، وقوله تعالى : ﴿ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ معناها : أن هناك فترة زمنية بين كل فترة تمر فيها . .

ذلك لأن السحاب لا يبقى دائما بل تأتى فترات ممطرة وفترات جافة وفترات تسطع فيها الشمس . . وكذلك حركة الجبال تدور وتعود إلى نفس المكان كل فترة . وإذا أردنا أن نمضي فالأرض مليئة بالآيات . . ولكننا نحن الذين لا نتنبه . . وإذا نبه الله الكفار فإنهم يعرضون عن آياته . . . تماما كما حدث مع رسول الله [ﷺ] . . حين قال له الكفار في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ۝ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۝ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴾ [سورة الإسراء ٩٠ ـ ٩١] .

وكان كل هذا معاندة منهم . . لأن الآيات التي نزلت في القرآن الكريم فيها من المعجزات الكثيرة التي تجعلهم يؤمنون . .

** ** **

أخفض منطقة في العالم

آية نزلت كانت سببا في إسلام بعض المشركين في شأن الروم والفرس.

حدثت معركة بين الروم والفرس فانتصر الفرس على الروم، وكان الفرس عباد النار والروم أهل كتاب ففرح المشركون لأنهم أهل أوثان بانتصار أهل الأوثان على أهل الكتاب من النصارى وحزن المسلمون.. فأنزل الله قرآنا يواسى به المؤمنين ويرد فرحة الكافرين قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ ﴾ [الروم ١-٤].

أي في أقل من عشر سنوات. فلما جاء هذا الخبر: قال تعالى: ﴿ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴾ [الروم ٤-٧].

نعم يعلمون ظاهرا كما يعلم كروستوفر حكمة لبس الحذاء لكنه لا يدري الحكمة من خلقه هو؟ فلما نزلت هذه الآيات: ﴿ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ ثم يعقب بعد ذلك ﴿ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ ﴾ بأسلوب التحدي.. يعني أن الروم هذه التي انهزمت؛ ستنتصر في أقل من عشر سنين ﴿ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ هذه واحدة وثانية ستأتي وهي

النصر وسيفرح المؤمنون وبعده . . ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ﴾ ما كان سيكون ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يعني يستثير في الكفار كل حمية ، كل مقاومة . . فجاء واحد من الكفار لما سمع هذا . . إلى أبي بكر وقال : انظر ما يقول محمد . . . قال : ما يقول ؟ قال : يقول : إن الروم تهزم الفرس ، قال : صدق . . . . ثم كسب أبو بكر في النهاية فما مرت سبع سنوات حتى تحقق وعد الله ـ جل وعلا ـ وانتصر الروم على الفرس ، وفرح المسلمون ، وكان ذلك في عام الحديبية . . .

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ﴾ كانت معجزة للأولين في هذا الأمر الغيبي الذي رأوه بعد سبع سنين من إخبار القرآن به . فقال بعض الكفار الذين أسلموا : محمد عاقل وما هو مجنون ، لقد جعل دينه كله ومستقبله كله والإسلام كله مرهوناً بانتصار دولة مهزومة ، إنه حدد زمناً قريباً يكون في حياته . فلو أنه مرت عشر سنوات ولم تنتصر الروم راح الإسلام وراح القرآن وراح محمد ! ! لكن يراهن محمد هذا الرهان لكن يحدد محمد ، والذي راهن أبا بكر الصديق [رضي الله عنه] هو محمد [اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله] يقول ، ويرمي بثقله كله ، ويحدد هذا التحديد ويجزم هذا الجزم ولا تمر سبع سنوات إلا وقد تحقق فلا يمكن أن يكون هذا من عند بشر ! هذا صنع الذي يحكم البشر فأسلموا ودخلوا في الإسلام !

* قال الشيخ الزنداني : التقيت مع واحد من أساتذة علوم الجيولوجيا في أمريكا اسمه البروفيسور ـ بالما ـ وهو من كبار علماء الجيولوجيا في أمريكا جاء في زيارة وجاء ومعه نموذج للكرة الأرضية بها تفاصيل الارتفاعات والانخفاضات وأعماق البحار ، وكم طول الارتفاع ، وكم عمقه ، كله مبين في التضاريس بالمتر محسوباً . . . فلما جلس قلت له : عندنا عبارة في

القرآن . . [آية في القرآن] تقول بأن منطقة بيت المقدس حيث دارت المعركة هي أخفض منطقة في العالم . . في أدنى الأرض . . لأن لفظ أدنى لفظ مشتق يأتي بمعنى أقرب ، أقول : أدنى من الآخر ؛ أدنى بمعنى : أقرب ، فأدنى تأتي بمعنيين : بمعنى الأقرب ومعنى الأخفض .

فقلت له : الله قال في ﴿ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ ﴾ المفسرون السابقون أخذوا المعنى الأول من أدنى : أقرب ، فقالوا : أدنى منطقة إلى بلاد العرب منطقة الأغوار في البحر الميت ، فهي أدنى الأرض بالنسبة لجزيرة العرب ، فقالوا : أقرب . لكن الآية تشتمل على المعنى الثاني بمعنى الأخفض . وقلت له : هي أخفض وأنا أعلم بأنها أخفض . . لكن أريده هو أن يقول ، فقال ذلك . لكن لما عرف أنها من القرآن قال : ليست أخفض الأرض . قال : فيه منخفضات موجودة في هولندا ، وتحت مستوى البحر ومنخفضات كذا ، وأخذ يتذكر أخفض المناطق في العالم . قلت له : أنا متأكد مما أقول . . استغرب الرجل وأنا أقول : (أنا متأكد مما أقول) . . هذه الكرة الأرضية التي فيها الارتفاعات والانخفاضات أدارها بسرعة فلما أدارها على منطقة بيت المقدس والمنطقة حولها وجد سهما طويلا خارجا من المنطقة ومكتوباً بخط واضح : (أخفض منطقة في العالم) ! فلما رآها قال : صحيح ! صحيح ! الأمر كما قلت . . إنها أخفض منطقة في الأرض . . هذا القرآن الكريم نزل بعلم الذي أحاط بكل شيء ـ [سبحانه وتعالى] .

** ** **

أسرار البحار

قال تعالى : ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن ١٩ ـ ٢٢] .

المرجان : هذا نوع من الحلي لا يوجد إلا في البحار المالحة فقوله تعالى : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ أي أن البحرين المذكورين مالحان ، فالآية تتكلم عن بحر يخرج منه مرجان وبحر آخر يخرج منه مرجان ، الأول مالح وهذا مالح فمتى عرف الإنسان أن البحار المالحة مختلفة وليست بحرا متجانسا واحدا ؟ لم يعرف هذا إلا عام ١٩٤٢ .

في عام ١٨٧٣ عرف الإنسان أن مناطق معينة في البحار المختلفة تختلف في تركيب المياه فيها . . عندما خرجت رحلة تشالنجر وطافت حول البحار ثلاثة أعوام [وتعتبر هذه السفينة رحلة تشالنجر هي الحد الفاصل بين علوم البحار التقليدية القديمة المليئة بالخرافة والأساطير وبين الأبحاث الرصينة القائمة على التحقيق والبحث] ، هذه الباخرة هي أول هيئة علمية بينت أن البحار المالحة تختلف في تركيب مياهها .

لقد أقامت محطات ثم بقياس نتائج هذه المحطات وجدوا أن البحار المالحة تختلف في الحرارة والكثافة والأحياء المائية وقابلية ذوبان الأكسجين وفي عام ١٩٤٢ فقط ظهرت لأول مرة [نتيجة أبحاث طويلة جاءت نتيجة لإقامة مئات المحطات البحرية في البحار] فوجدوا أن المحيط الأطلنطي مثلا

لا يتكون من بحر واحد بل من بحار مختلفة ، وهو محيط واحد ، ولما جاءت مئات المحطات فقد ميَّزت . . هذه المحطات المختلفة أن هذا بحر مالح وهذا كذلك أيضا بحر مالح آخر . . هذا له خصائصه وهذا له خصائصه ، في إطار هذا البحر تختلف : الحرارة والكثافة والملوحة والأحياء المائية وقابلية ذوبان الأكسجين ، خاصة بهذه المنطقة بجميع مناطقها ، هذان بحرانِ مختلفان مالحان ، يلتقيان في محيط واحد فضلا عن بحرين مختلفين يلتقيان كذلك كالبحر الأبيض والبحر الأحمر وكالبحر الأبيض والمحيط الأطلنطي ، وكالبحر الأحمر وخليج عدن ؛ يلتقيان أيضا في مضايق معينةٍ .

ففي ١٩٤٢ عرف لأول مرة أن هناك بحارا كاملة يختلف بعضها عن بعض في الخصائص والصفات ، وعلماء البحار يقولون : إن أعظم وصف للبحار ومياه البحار : أنها ليست ثابتة . . ليست ساكنة . . أهم شيء في البحار أنها متحركة . . فالمد والجزر والتيارات المائية والأمواج والأعاصير . . . عوامل كثيرة جداً ، كلها عوامل خلط بين هذه البحار .

وهنا يرد على الخاطر سؤال : فإذا كان الأمر كذلك ؛ فلماذا لا تمتزج هذه البحار ولا تتجانس ؟ !

درسوا ذلك فوجدوا الإجابة : أن هناك برزخا مائيا وفاصلا مائيا يفصل بين كل بحرين يلتقيان في مكان واحد ، سواء في محيط أو في مضيق ، هناك برزخ وفاصل يفصل بين هذا البحر وهذا البحر . . تمكنوا من معرفة هذا الفاصل وتحديد ماهيته بماذا ؟ هل بالعين ؟ لا . . وإنما بالقياسات الدقيقة لدرجة الملوحة ولدرجة الحرارة والكثافة وهذه الأمور لا ترى بالعين المجردة .

** ** **

أسرار السحاب

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ﴾ [النور : ٤٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ ﴾ أي مدفوعة . . أي الدفع رويدا . . رويدا ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ .

*** دراسة تكوين السحاب الركامى :**

يبدأ السحاب الركامي عبارة عن (قزح) قطعة هنا وقطعة هناك يأتي هواء خفيف فيدفع هذه السحب قليلاً قليلاً ، يُزجَى سحاباً ثم يُؤلَّف بينه ، قالوا : السحاب الركامي : يتكون حين تجتمع سحابتان أو سحابة تلو سحابة بسرعة . . فإذا اجتمعت سحابتان أو نمت سحابة بسرعة : يتكون تيار هواء تلقائي في داخلها ، وهذا التيار الهوائي الذى بداخلها يصعد إلى أعلى ، وحين يصعد إلى أعلى يعمل مثل الشفاطة ، هذه الشفاطة التي تشفط الهواء من الجنب . . ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ﴾ [النور] .

وتقوم بسحب السحب بالشفط بعدما تكوّنت على هذا النحو وأصبح لها قوة سحب وجذب للسحب المجاورة ، وهذا هو **التأليف** ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ﴾ .

وبعد أن يؤلف بين السحاب وتتباعد بقية السحب بعدا كبيرا يتوقف الشفط هذا ، ويحدث شيء قوي جدا : نموٌّ رأسي إلى أعلى ؛ هذا النمو الرأسي إلى أعلى يركم السحاب بعضه فوق بعض ، يصير ركاماً ولذلك قالت

الآية : ﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا ﴾ نفس السحابة تطلع تعلو فوق وتعلو بعضها فوق بعض . . (ثم) تأخذ وقتاً ، أما (الفاء) فلا تراخى فيها ﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ ﴾ فالفرق بين (ثم) و (الفاء) :

أن (ثم) : تفيد الترتيب مع التراخي .

أما (الفاء) : فتفيد الترتيب مع التعقيب بسرعة ، فعندما يتوقف الركم يتوقف ويضعف ، فإذا ضعف فإن المطر ينزل على الأثر ولذلك قال : ﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ [النور آية ٤٣] .

** ** **

اهتزازات التربة

في المؤتمر العلمي الأول في (إسلام آبـاد) تقـدم أحـد علمـاء النبـات فقال : هناك آية في القرآن تخبرنا عن حقائق عرفناها نحن الآن ففي عام ١٨٢٧ م اكتشف عالم بريطاني اسمه (براون) أن ماء المطر إذا نزل إلى التربة أحـدث لها اهتزازات تهتز حبيبات التربة . . حبيبات صغيرة تبلغ أكبر حبيبة من حبيبات التربة قطرها ٠,٠٠٠٣ مم أكبر حبيبة في التربـة . . هـذه الحبيبـات عبـارة عـن صفائح بعضها فوق بعض من المعادن المختلفة ، صـفائح متراصـة ، إذا نـزل المطر تكونت شحنات كهربائية مختلفـة بـين الحبيبـات بسـبب اخـتلاف هـذه المعادن ، وحـدث تـأين : (أي تحويـل إلي إيونـات والإيـون : هـو ذرة مـن مجموعة ذرات ذات شحنة كهربائية ، فـإذا نقـص عـدد الكهيربـات في الـذرة أصبحت إيوناً موجباً ، وإذا زاد أصبحت إيونا سالبا ويسمى شطرا) . . . فتـهتز هذه الحبيبات بهذا التأين ، وبدخول الماء من عدة جهات إلى تلـك الحبيبـات يحدث له اهتزاز ، هذه الحبيبـات المهتـزة (الاهتـزاز لـه فائـدة عظيمـة إذ إن الصفائح متلاصقة بعضها مع بعض) فالاهتزاز يوجدُ مجالاً لدخول المـاء بـين الصفائح ، فإذا دخل الماء بين الصفائح نمت ودَبت هذه الحبيبـات . . ربـت ، والرباء والربو : هو الزيادة لكن هناك ربا حلال وربا حرام ، هذا الرباء الذي هو في التربة حلال . . ربت : أي زادت بسبب دخول الماء بـين هـذه الصـفائح . . فإذا تشبعت بالماء أصـبحت عبـارة عـن خـزان للمـاء يحفـظ المـاء بـين هـذه الصفائح ، كأننا الآن مع خزانات معدنية داخل التربة . . النبـات يسـتمد المـاء

طوال شهرين أو ثلاثة أشهر . . من أين ؟ من هذا الخزان يستمد وإلا لكان الماء يغور في التراب، وينزل تحت ويقتل النبات في أسبوع ، لكن الخزانـات تمـده بهذا الماء.

* قال : إذا نزل المطر اهتزت التربة . . من اكتشف هذا ؟ واحد اسمه براون عام ١٨٢٧ وسميت هذه الاهتزازة : (اهتزازة براون) مع أنها موجودة قبل أن يولد براون ، والذين يؤرخون العلم عليهم أن لا يقولوا : إن أول من ذكر هذا براون ، وإن أرادوا إنصافا فليقولوا : إن أول من ذكره القرآن؛ كما سنرى الآن ، يقول الله [عز وجل] : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ [سورة الحج . آية ٥] .

. . من أخبر محمداً [ﷺ] بهذه الدقائق ؟ من أخبره بأسرار البحر ، وباطن الأرض ، وطبقات الفضاء العليا ، وأسرار السماء ، وأسرار بداية الخلق ؟ من أخبره بذلك ؟ أليس هذا القرآن هو أكبر معجزة موجودة ؟ إنك إذا رأيت عصا موسى تتحول إلى حية تسعى ، فأنت ترى آية واحدة ، أما هذا القرآن فكله آيات ، وكل آية فيه تدل على مصدرها وتحمل علما آلهياً ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ ﴾ [سورة الأنعام ـ آية ١٩] .

** ** **

آيات الله في خلق الإنسان

في نهاية القرن السابع عشر عندما اكتشف الميكرسكوب المكبر . . المجهر . . تصوروا بعد أن شاهدوا الحيوانات المنوية . . [مع أن المجهر كان صغيرا في ذلك الوقت] . . تصوروا أن الإنسان بذرة مثل الشجرة الصغيرة . . فتصوروا أن الإنسان مختزل في الحبة المنوية ، فرسم له العلماء صورة وتخيلوا الإنسان يوجد كاملا في النطفة المنوية غير أنه ينمو . . ومنذ ٦٠ عاما تأكدوا من أن الإنسان لا يوجد إنسان دفعة واحدة إنما يمر بأطوار ومراحل طورا بعد طور ، ومرحلة بعد مرحلة ، وشكلا بعد شكل ، منذ ٦٠ عاما وصل العلم إلى إحدى الحقائق القرآنية .

يقول الشيخ الزنداني :

التقينا مرة مع أحد الأساتذة الأمريكان بروفيسور أمريكى من أكبر علماء أمريكا اسمه بروفيسور (مارشال جونسون) فقلنا له : ذكر في القرآن أن الإنسان خلق أطواراً فلما سمع هذا وكان قاعداً فوقف وقال : أطواراً ؟ ! قلنا له : وكان ذلك في القرن السابع الميلادى ! جاء هذا الكتاب ليقول : الإنسان خلق أطواراً ! ! فقال : هذا غير ممكن . . غير ممكن . . قلنا له : لماذا تحكم عليه بهذا ؟ هذا الكتاب يقول : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ﴾ [الزمر - آية ٦] .

﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح - آية ١٤] .

فقعد على الكرسى وهو يقول : بعد أن تأمل : أنا عندي الجواب : ليس هناك إلا ثلاثة احتمالات :

الأول : أن يكون عند محمد [عليه الصلاة والسلام] ميكروسكوبات ضخمة . . تمكن بها من دراسة هذه الأشياء وعلم بها ما لم يعلمه الناس فذكر هذا الكلام !

الثاني : أن تكون وقعت صدفة . . وهذه جاءت صدفة .

الثالث : أنه رسول من عند الله .

قلنا : نأخذ الأول ؛ أما القول بأنه كان عنده ميكرسكوب وآلات ، أنت تعرف أن الميكرسكوب يحتاج إلى عدسات وهي تحتاج للزجاج ، وخبرة فنية ، وتحتاج إلى آلات ، وهذه معلومات بعضها لا تأتي إلا بالميكرسكوبات الإلكترونية ، وتحتاج إلى كهرباء ، والكهرباء تحتاج إلى علم ، وهذه العلوم لا تأتي إلا من جيل سابق ولا يستطيع جيل أن يحدث هذا دفعة ، فلا بد أن للجيل الذي قبله كان له اشتغال بالعلوم ثم بعد ذلك انتقل إلى الجيل الذي بعده ثم هكذا . . . أما أن يكون ليس هناك غير واحد فقط . . لا أحد من قبله ولا من بعده ولا في بلده ولا في البلاد المجاورة ، والرومان كذلك كانوا جهلة ، ما عندهم هذه الأجهزة ، والفرس والعرب كذلك ! واحد فقط لا غير هو الذي عنده كل هذه الأجهزة وعنده كل هذه الصناعات وبعد ذلك ما أعطاها لأحد من بعده . . هذا كلام ما هو معقول ! قال : هذا صحيح صعب نقول : صدفة . . .

ما رأيك لو قلنا لم يذكر القرآن هذه الحقيقة في آية بل ذكرها في آيات ، ولم يذكرها في آية وآيات ، إجمالاً بل أخذ يفصل كل طور ؛

قال : الطور الأول : يحدث فيه كذا ، والطور الثاني : كذا وكذا ، والطور الثالث . . أيكون هذا صدفة ؟ !

فلما عرضنا التفاصيل والأطوار وما في كل طور قال : الصدفة كلام غلط ! ! هذا علم مقصود .

قلنا : ما هو تفسيره عندك ؟ قال : لا تفسير إلا وحي من فوق ! ! هذه

النطفة هذا المني . . مني الرجل ومني المرأة . . هذا كله فيه ماء المرأة ، وماء الرجل ، ومن بين هذا المني هذه النطفة قطرة كبيرة . . في داخل النطفة بويضة المرأة ، أغلقت الأبواب ! ممنوع دخول حيوان منوي ثان ، قُضِيَ الأمر فإذا انتهى . . بدأت تتخلق ، وهذا أول طور من أطوار الإنسان ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ [المؤمنون ١٢ ، ١٣]

* هذه النطفة في لغة العرب معناها : القطرة . . نطف الإناء : يعني : قطر الإناء ، إحداها نطفة . . يعني قطرة من سائل ، هذا السائل وهذه القطرة . . هذه النطفة يتقرر فيها كل شيء بالنسبة للإنسان . . كل صفات الإنسان تتقرر وهو نطفة ، وتتقدر وهو نطفة ولذلك قال تعالى : ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴾ [عبس . ١٧ ـ ١٩] .

من قال لسيدنا محمد : إن الإنسان مقدر في داخل النطفة بكل تفاصيله التي سيكون عليها ؟ ثم من ضمن ما سيقدر به هذا الإنسان كونه ذكراً أم أنثى ؟ فهمنا أن في هذه النطفة يتقرر ما إذا كان هذا المخلوق ذكرا أم أنثى . . هل تصور أحد من البشر أن نطفة الماء حال الإمناء يتقرر مصيرها وما يخرج منها ذكرا وأنثى ؟ ! هل يخطر هذا بالبال ؟ ! لكن القرآن يقول : ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾ [النجم (٤٥ ـ ٤٦] .

حال إمنائة إذا تمنى . . وقد قدر ما سيكون عليه ذكرا أو أنثى قد تحددت ! ! من أخبر محمدا بذلك [ﷺ] إلا الله ؟ هذه حاملات الوراثة داخل النطفة تلك . . هذه لم تعرف إلا بعد اكتشاف الميكروسكوب الألكتروني ، والميكروسكوب الألكتروني من الأربعينيات . . يعني له نصف قرن تقريبا منذ أن عرف . . عرفوا أن الذكورة والأنوثة تتقرر في النطفة . . يعني كنا في أوائل القرن العشرين وكانت البشرية بأجمعها لا تعلم أن الذكورة والأنوثة مقررة في النطفة ، لكن الكتاب الذي نزل قبل أربعة عشر قرناً يقرر هذا في غاية

الوضوح ، وارجعوا إلى كتب التفاسير كلها تقرر هذا ، إيمانا بما جاء في هذا الكتاب .

هناك حديث عن الرسول [ﷺ] يخبرنا عن النطفة أين تستقر ؟ وكيف يكون حالها قبل الاستقرار ؟ قال عليه الصلاة والسلام : « **يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم** » ـ أخرجه أحمد في المسند ـ .

أي أن النطفة هذه تستقر في الرحم ، معناه : أنها كانت قبل الاستقرار . . أنها كانت متحركة . . صحيح كانت متحركة . . هذه البويضة خرجت من الأنثى ، وهذه الحيوانات جاءت من الرجل من هنا . . فحيوانات الرجل جاءت من هنا وتركت إلى هنا وكان هذا مكان اللقاء ، ونطفة المرأة جاءت من هنا ، وتم اللقاء هنا ، وتم التلقيح وتركت هذا المكان ، وتحركت حتى وصلت إلى الرحم فاستقرت ، يعنى كانت في حالة غير مستقرة ثم استقرت ، قال عليه الصلاة والسلام : « **يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين أو بخمس وأربعين** » فمن أخبر محمداً [ﷺ] ؛ بأن النطفة تأتي عليها فترة لا تكون فيها مستقرة ثم تستقر ؟ ! هذه النطفة . . وهذا جدار الرحم . . هذه النطفة شقت جدار الرحم من هنا ودخلت كما تشق التربة ، وتوضع البذرة وتدفن بالضبط ، هذه النطفة شقت الرحم وبعد ذلك دفنت ، فغارت في لحم الرحم وغطى عليها ، ولذلك نجد جميع كتب الطب والتشريح والأجِنَّة تذكر هذه المرحلة وتسميها (مرحلة الغرس) . . ويشبهون الرحم بالتربة التي وضعت فيه البذرة وهم بتشبيههم هذا يظنون أنهم يأتون بالوصف الدقيق المتلائم مع الواقع ، ولكنهم سيفاجؤون عندما يرون آية تصف المرأة وتقول ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة ٢٢٣] .

أي أنها موضع الحرث ويكون فيها حرث ، لاحظوا أيها الإخوة هذه النطفة وهي تدخل إلى هنا أول علاقة لها بالرحم ، قالوا : ماذا يحدث ؟ قلنا : تغور . . تدخل . . يحدث هنا شيئان :

* **الشيء الأول** : أن الرحم يأخذ من النطفة غلافها . . الغلاف يؤخذ منها والجنين ينفذ من هذا الغلاف وهذه المكونات

ثم المسألة الثانية : أنها تغور إلى الداخل ،

فهناك شيئان : نقص للنطفة وغور لها هناك ، لفظ عربي لا يوجد لفظ مثل هذا اللفظ يحقق المعنيين . . هذا للفظ ذكره الله في كتابه واصفاً لعلاقة الإنسان برحم أمه ، ولكني سأذكر معناه . . هذا اللفظ هو غاض . . الغيض . . قال تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ ﴾ [هود ٤٤] .

فغاض تأتي بمعنيين : تأتي بمعنى غار ، وتأتى بمعنى نقص ، أو تأتى بالمعنيين معا ؛ وغيض الماء : أو غار ، وتأتي بمعنى : نقص ، أو تأتي بالمعنيين معاً ؛ وغيض الماء أو غار الماء : نقص . . فغاضت النطفة هنا تأتي بالمعنيين غار في جدار الرحم ونقص منه جداره وجزء منه لتتكون منه المشيمة في الرحم ويبقى شئ آخر ، الله يقول : ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴾ [الرعد ٨] .

وغيض الرحم هنا مفتاح من مفاتيح الغيب ، وهنا افتحوا أذهانكم ، هذه النقطة ميدان معركة ما بين طلاب المدارس الدينية وطلاب المدارس العلمية حول معرفة أنه ذكر أو أنثى ؟ . أنتم لا تؤمنون أن العلم اكتشف أنه ذكرا أو أنثى . . لا نؤمن ، خذ بطاقة الرجعيين . . وهذا يأخذ بطاقة الكفر ، هذا العلم السطحي يوصل إلى هذه النتائج ، لكن التعمق في العلم يوصل إلى غير هذا وما أقوله لكم ـ سبحان الله ـ كنت أحسب أنى قد وصلت إلى هذا بعد طول عناء فإذا بابن كثير [رحمه الله] يسبقنا إليه ويقرر المعنى الأول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ ﴾ [لقمان ٣٤] .

فهمها الناس على عمومها ، فلا يمكن لأحدأن يعلم أن في الرحم شيئا ومن قال إنه عَلِمَ شيئاً فقد كفر ، « ابن كثير » جمع النصوص ، فكر فيها

تأمـل . . كيـف يكـون هنـاك مفتـاح للغيـب لا يعلمـه إلا الله ؟ وقـد ورد في الأحاديث الصحيحة : « أن الملائكة تعلم ما سيكون عليـه المخلـوق في بطـن أمه ، تعلم رزقه وأجله ، وهل سيكون شقياً أو سعيداً ، ذكراً أو أنثى » ، تعلم عنه كل هذه التفاصيل بل ما سيكون فكيـف يقـال بعـد ذلـك : إن هـذا العلـم لا يعلمه إلا الله ؟ هذا ابن كثير شيخ السادة المتكلمين . . هذا ابن كثير المرجـع في التفسير يقول : كيف نجمع بين النصوص هل يكذب نص نصا ؟ هـل الـنبي [ﷺ] يكذب نفسه بنفسه يقول : « لا يعلم إلا الله » ثم يقول :

(الملائكة تعلم) . . لا والله إنه الجهل بفهم النصوص ، نعم ؛ الجهل . فقرر ابن كثير وجمع بين النصوص [وهذا منهج العلماء] حيث قال : لا يعلم أحد من أمر الجنين شيئاً من العلم إلى ما قبل علم الملك ، فإذا علم الملك علمنا أن غير الله قد علم وهو الملك ، ومن شاء الله من خلقه . . وإذا هذه النصوص الخاصة خصصت العموم ، وهذه الألفاظ المقيدة قيدت الإطلاق ، فعلمنا الأمر المحجوب عن علم غير الله إنما هو في مرحلة من مراحل الجنين ، وتجلى الأمر بوضوح لا بكلام ابن كثير ، بل بكلام سيد الأنبياء والمرسلين محمد [ﷺ] حيث قال [عليه الصلاة والسلام] في الحديث الذي رواه البخاري عن عبد الله بن عمر [رضي الله عنه] قال : « مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمها إلا الله : لا يعلم ما في غد إلا الله ، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ـ ﴿ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾ » .

ففرق بين أمرين : الآية قالت : ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾ [الرعد ٨] .

* * فالأرحام لها حالتان : حالة تعلق بالجنين والله يعلم الحالتين بالتمام والكمال والمحجوب عن علم غير الله هو الغـيض ، الـذي يعلمـه هـو وحـده (مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمها إلا الله : لا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم ما تغيض الأرحام) فهذا قيد لنا المرحلة من العلم ، هذا الأمر الأول .

* * أما الأمر الثاني : فهو أن ما تغيض الأرحام يسميه الرسول [ﷺ] مفتاحا من مفاتيح الغيب ، يفتح على أبواب علم قادمة . . على أحوال قادمة ، فالذين ذهبوا إلى أن الغيض هو دم الحيض وفي الحقيقة لا يكون بهذا مفتاحاً للغيب ، ودم الحيض ليس مفتاحاً للغيب ، فالرسول [ﷺ] يقول : مفتاح الغيب : ما تغيض الأرحام ، ودم الحيض ليس مفتاحاً للغيب؛ لأنه لن ينشأ منه جنين أو إنسان أو مخلوق . وبإجماع علماء المسلمين مفتاح الغيب متعلق بالأجنة وبالإنسان الذي سيخلق ،

فإذاً : مفتاح الغيب هذا متعلق بالأجنة التي ستخلق ، ومعلوم أن دم الحيض لا يخلق منه إنسان ، ومن ذهب إلى هذا التفسير غير المقصود فهذا لا يستقيم مع المعنى أنه مفتاح من مفاتيح الغيب والله أعلم . .

إذاً : ما تغيض الأرحام هذه مرحلة الغيض تأتي بعد هذا مرحلة الازدياد . . في مرحلة الغيض هذه يستحيل على إنسان أن يعرف صفات الجنين . في هذه المرحلة مستحيل . . أتدرون لماذا ؟ لأنه إذا صففنا صفين . . لو جئت بصفين من الأحجار ووضعت الصفين بجوار بعض وقلت لإنسان : أنا سأصنع من هذا بناءً هل سيعلم أيكون من الصفين مدرسة أم مستشفى ؟ هل سيعلم أيكون منها فيلٌ أم عمارة ؟ صفان فقط هكذا الإنسان في هذه المرحلة فلو أراد الإنسان أن يمتحن شيئا من صفات هذا الجنين وأخذ خلية واحدة فلو نزع الجهاز التنفسي [لأن الجهاز التنفسي يكون هنا ممثلا بخلية واحدة] فلا يستطيع الإنسان أن يكتشف ما يكون أمر هذا المخلوق في مرحلة الغيض بينما هو مقدر تقديرا كاملا ما سيكون عليه هذا الإنسان .

والتقيت بأحدهم فهذا المرشال جونسون الذي قام وقعد وهو من كبار المختصين بعلم الوراثة والدارسين لعلم (الكروموزومات) في أمريكا . . قلت له : هل حاولتم أن تعرفوا صفات الإنسان التي ستكون في المستقبل في مرحلة الغيض هذه؟ قال : نعم حاولت ، لقد قمت بتجربة على بعض كروموزومات

[بعنى حاملات الوراثة] واستمر بحثي عليها عشر سنوات وأنا أحاول أن أفهم كيف سينشأ مخلوق من هذا ؟ ! وماذا سينشأ من هذا الجزء الذي بين يـدي في المستقبل ؟ ! وقلت له : ماذا كانت النتيجة ؟ قال : بكيـت ! ! قلـت : لمـاذا ؟ قال : لأني فشلت ولم أستطع أن أعرف شيئاً ، قلت له : أحسنت ! ! هذا عندنا موجود ، إنك لن تستطيع أن تعرف ، وإن هـذه المرحلـة لا تسـتطيع أن تعلـم عنها شيئا ولا تستطيع أن تفهم عنها شيئا ، إذاً أيها الإخوة نقول : معرفة مـا في الجنين (أحوال وصفات الجنين) كما قال ابن كثير من قبل هي في فترة زمنيـة محددة يكون الجهل ، أما إذا علم الملك شيئاً فقد زال الغيب .

أما حديث الرسول [ﷺ] فهو يفيد هذه المرحلة [مرحلة الغيض] ويجعلها هي مفتاح الغيب ، فإذاً نقول : إن مرحلة الازدياد مرحلة مفتوحة ويمكن للإنسان أن يعلم ، وإذا رأينا متى علم الملك جاء في مرحلة الازدياد والله أعلم . . مفهوم هذا يا إخوان ، هذه صورة الجنين بعد أن يتحول من نطفة يتحول إلى هذه الصورة . . هذا الجنين وهذه صورة للعلق الذي يوجد في الماء . . الذي يتعلق في أفواه الأغنام والأبقار فيمتص منها الدماء . . هذه صورة العلق الذي في الماء وهذه صورة الجنين في مرحلة ما بعد النطفة ، هذه الصورة لم أعدها وإنما أعدها أستاذ من كبار أساتذة علم الأجنة والتشريح في العالم بعد أن اقتنع بهذه الأبحاث وقال : سأغير في كتابي وأجعل هذا الفصل من حياة الجنين بعنوان العلقة ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ [المؤمنون ١٤] .

هذا الجنين وهذه العلقة . . لا إله إلا الله ! ! من أخبر محمداً [ﷺ] بهذا ؟ الله ! ! هذا هو الطور الثاني وهذه هي العلقة ، وهذا هو الجنين يكون محاطا بالماء والعلقة تكون محاطة بالماء ، العلقة هذه تتعلق لتمص الدماء ، الجنين أيضا يتعلق ليمص الدماء ، وهذه صورة أخرى للجنين ، وسترون تفصيلها ، هذه صورة للجنين بعد العلقة ، انظروا كيف تظهر فيه العلامات والآثار وكأنها مكان مضغ الأسنان ، كأنها وضعت أسنانك .

هنا (كيب مور) ؛ هذا العالم الذي قلت لكم عنه من كبار علماء الأجنة ؛ أخذ قطعة من الطين ومضغها بأسنانه ووضع هذه بجوار هذه وقال : هذه مضغة جنين وهذه مضغة بأسنان وهذه مرحلة ما بعد العلقة ، ولذلك قال تعالى : ﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾ هذه بعض صور تفصيلية للجنين . . انظر الجنين . . المضغة من صفاتها . . أول ما تأخذ المضغة تمضغها تستطيل . . ثم تمضغها ثانية : فيتغير شكلها ثم تمضغها ثالثة : فتأخذ شكلاً ثالثاً وتمضغها مرة أخرى : فتأخذ شكلاً آخر ومع كل مضغة هي تدور ، الجنين في هذه المرحلة بالضبط هكذا الجنين في هذه المرحلة تظهر فيه نقاط وكأنها أماكن المضغ ثم يدور . . انظر لهذه الصورة . . هذه كأنها أماكن المضغ . . هذه صورة لمراحل المضغة كاملة . . في أولها كيف تكون مستطيلة وكأنك شققتها نصفين . . تظهر هذه الأماكن وكأنها المضغ ثم بعد ذلك تتحول إلى هذا الشكل ، ثم تستدير ، وهذه قطع وبقايا زيادات ، ولكن في كل مرحلة أماكن ، وكأنها أماكن مضغ الأسنان ، تظهر في كل طور من الأطوار ، ثم تستدير في النهاية ، وفي هذه المرحلة بعدها تنشأ العظام ،

هذه المضغة يا إخواني التي رأيناها قبل قليل كأنها تشريح . . هذه صورة الأجهزة قد تخلقت ، ولكن ليس في صورتها النهائية ، نحن نجد في هذه المنطقة شيئين :

نجد بقعة واسعة هذه لم تتخلق كل هذه خلايا لم تتخلق . .

وخلايا أخرى قد تخلقت وتخلقت منها جميع الأجهزة التي سيتكون منها جسم الإنسان فالمضغة هنا في الحقيقة أصدق وصف لها أن فيها شيئا قد تخلق ، وفيها جزء لم يتخلق ، فأصدق وصف لها أنها مخلقة ، وغير مخلقة ولذلك جاء وصفها في القرآن بهذا الوصف ﴿ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ من قال لمحمد ﷺ ؟ هل كان عنده أجهزة تشريح وقياسات ؟ ! هذه عبارة عما وصل الجنين في هذه المرحلة ، واحد سم . . يعنى قريب من واحد

سم . . انظروا واحد سم يعنى ماذا ؟ . . هذا الكلام داخل واحد سم . الآن العظام تبدأ في الزحف على الجمجمة . . هذه العين . هذه الجمجمة ﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا ﴾ [المؤمنون ١٤] .

وفي كثير من النقاش مع الدكاترة كنا نسألهم :

أيهما الأول ، العظام أم اللحم ؟ فكانوا يقولون لنا : هما معا في وقت واحد . . فلما كنا نطلب منهم مراجعة كتبهم فيعودون فيقولون : لا ، العظام ، ثم بسرعة يأتي بعده اللحم ، وفي ذلك قوله تعالى : ﴿ فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ﴾ فكسونا العظام لحماً . هذه صورة للعظام وهذا اللحم انظروا كيف يكسو ربنا سبحانه العظام لحماً ؟ ! هذا عندما ينتهي كساء العظام باللحم تبدأ مرحلة من المراحل . . أهم ما في هذه المرحلة أن الجنين ينمو . . . ينشأ . . . يترعرع جسمه وبدنه ، ويكون أهلا لكي تسكن الروح هذه المرحلة ، فإذا توقفنا عند قوله سبحانه : (أنشأناه) وجدنا أن (ينشأ) بمعنى أسكنت فيه الروح ، وينشأ بمعنى نما الجسد وترعرع ، وإذا بحثت في لغة العرب عن لفظ يدل على المعنيين ؛ يدل على النمو ويدل على النشأة المحدثة ؛ لا تجد لفظا غير ينشأ فإن (نشأ)

يدل على النمو ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً ﴾ [الواقعة ٣٥] .

ويدل على الخلق وعلى الإيجاد من العدم ، وفي هذه المرحلة يحدث شيئان :

* أما البدن فينمو ويترعرع ،

* وأما الروح فتنفخ ، وبهذا تتم النشأة الكاملة للإنسان ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ [المؤمنون ١٤] .

* * بعد خلق هذه المرحلة لا يوجد مخلوق في الوجود يشابه هذا الإنسان ، لا يوجد حيوان ولا نبات ولا ملاك ولا جني ولا أرض ولاسماء ،

ولاشهب ولاشيء في الكون مثل هذا الإنسان المكون من مادة وروح ، ثم لا توجد صورة من بنى آدم تشبه هذه الصورة لهذا المخلوق صورة خلق آخر ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ [المؤمنون ١٤] .

* خلقاً آخر متميزاً عن جميع أنواع الخلق من أبناء جنسه ، ومن غير أبناء جنسه ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ أرأيتم الأطورا ؟ ! أرأيتم المضغة ؟ ! أرأيتم العظام ؟ ! أرأيتم كساء اللحم للعظام ؟ ! أرأيتم الإنشاء ليصبح خلقا آخر ؟ ! أرأيتم هذه الأطوار التي كانت محجوبة . اقرؤوا معي بقية الأطوار في نفس الأية ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ [المؤمنون ١٤ ، ١٥] .

صحيح ستموتون خذ ١٠٠ سنة إذا لم يأتك الموت في الطريق كيف ؟ ! إن وصلت إلى الـ ١٠٠ سنة ؟ لا تصل إلى المئة سنة إلا إذا أخذت جزءا جزءا هات الأسنان ٦٠ سنة خلعت له أسنانه لماذا؟ خلقت له أسنان ليأكل . . يكفيك ما أكلت يا شيخ ، استعد توقف عن الأكل ، هات العيون ما أرى ؟ أصلا خلقت لترى وتمشى وتروح ، أنت مشيت كثيرا ورحت وجئت . . الآن اقعد قد علم سعيك ، ويروح ويجئ . . فيميل ويضعف . . فإذا به لا يستطيع أن يمشى ولا يروح لماذا ؟ ليس مطلوباً منك أنك تتحرك ، اقعد . . تهيأ للدار القادمة . . سمعي . . ارفع صوتك يا ولد ما أسمع ، أعطيت هذا السمع لتسمع الكلام . . وتتكلم الكلام ، والآن كفى ، انتهى الوقت المعطى لك ! قد تكلمت كثيرا وسمعت كثيرا يكفى ما حصل ! لم يعد لك مكان في الدنيا ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون ١٥ ، ١٦] .

المتكلم واحد المخبر واحد . . سياق واحد . . آية بعد آية في سورة واحدة ، ويوم ذاك سنرى بقية القصة كما رأينا مقدمة القصة . . سنرى بقية

الأطوار كما رأينا بقية الأطوار ، فما هي الأطوار القادمة ؟ حساب . . عرض . . جنة ، نعم تريد أن تعرف أين ستكون ؟ من الآن تستطيع أن تضع الجواب وتختار الجواب ، فنسأل الله التوفيق والسلام ، انظروا يا إخوتي هذه صورتي وصورتك في الأسبوع الخامس . . صورة ابن آدم في الأسبوع الخامس . . أما هذه ففي الأسبوع السادس . . هذه الصورة جانبية في الأسبوع السادس . . الأسبوع السادس وهذه الصورة ٤٢ يوما وصورة الإنسان هكذا نراها بعد في الأسبوع السابع تأمل وقل : لا إله إلا الله . . ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران ٦] .

هذا في الأسبوع الخامس ، وهذا في الأسبوع السابع ، نرى الفرق الآن . . أرأيتم العينين . . والأنف والشفتين والرأس قد فصل عن الجذع والأطراف تميزت عن سائر الجسد . . والأصابع بدأت الصورة . . بدأ التصوير في الأسبوع السابع . . وفي السادس بعد ٤٢ يوما يقول الرسول [ﷺ] : « إذا مر بالنطفة اثنان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها ـ بدأ التصوير ـ وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها » . . ثم قال يارب أذكر أم أنثى بعد ذلك ؟ ـ إلى الآن لا توجد أعضاء تناسلية بعد ذلك يتم خلق الأعضاء التناسلية .

** ** **

الاختلاط

قال ﷺ : « لا يخلونّ أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم » متفق عليه .

لقد أثبتت التجارب والمشاهدات الواقعية ، أن اختلاط الرجال بالنساء يثير في النفس الغريزة الجنسية بصورة تهدد كيان المجتمع . . . كما ذكر أحد العلماء الأمريكيين (جورج بالوشي) في كتاب (الثورة الجنسية) . . وقال بأن الرئيس الأمريكي الراحل كنيدي قد صرح عام ١٩٦٢ بأن مستقبل أمريكا في خطر لأن شبابها مائع منحل غارق في الشهوات ، لا يقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وأن من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين ، لأن الشهوات التي أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية . . . ونتيجة للاختلاط الكائن بين الطلاب والطالبات في المدارس والجامعات ذكرت جريدة لبنانية : أن الطالبة في المدرسة والجامعة لا تفكر إلا بعواطفها والوسائل التي تتجاوب مع هذه العاطفة . . وأن أكثر من ستين في المائة من الطالبات سقطن في الامتحانات ، وتعود أسباب الفشل إلى أنهن يفكرن في الجنس أكثر من دروسهن وحتى مستقبلهن . . وهذا مصداق لما يذهب إليه الدكتور (ألكس كارليل) إذ يقول : عندما تتحرك الغريزة الجنسية لدى الإنسان تفرز نوعا من المادة التي تتسرب في الدم إلى دماغه وتخدره فلا يعود قادرا على التفكير الصافي . .

ولذا فدعاة الاختلاط لا تسوقهم عقولهم ، وإنما تسوقهم شهواتهم ، وهم يبتعدون عن الاعتبار بما وصلت إليه الشعوب التي تبيح الاختلاط والتحرر في العلاقات الاجتماعية بين الرجل والمرأة . .

من ذلك : ما أورده تقرير لجنة الكونجرس الأمريكية عن تحقيق جرائم الأحداث ، من أن أهم أسبابها الاختلاط بين الشباب من الجنسين بصورة كبيرة . . وغير ذلك من شواهد يومية تقرر الحكمة العلمية والعملية للحديث الشريف ، مما يعد إطارا منهجيا في تحديد مجالات العلاقات الاجتماعية بوجه عام ، وبين الرجل والمرأة بوجه خاص . .

ثم إن الاختلاط من أعظم آثاره : تلاشى الحياء الذى يعتبر سياجا لصيانة وعصمة المرأة بوجه خاص ، ويؤدى إلى انحرافات سلوكية تبيح تقليد الغير تحت شعار الحضارة والتحرر ، ولقد ثبت من خلال فحص كثير من الجرائم الخلقية أن الاختلاط المباح هو المسؤول الأول عنها . . وماذا يقول أنصار الاختلاط عن فضيحة وزير الصناعة في إنجلترا مع سكرتيرته التي أشارت إحدى الصحف إليها بأنها تنتظر مولودا منه ؟ الغريب أن صحيفة التايمز البريطانية قد أشارت إلى أن (مارجريت تاتشر) ، قد لعبت دورا رئيسيا في إقناع وزير الصناعة (باركتسون) بعدم الزواج من سكرتيرته والاستمرار مع زوجته على أمل ألا يحط زواجه من السكرتيرة من قدره . . . وهذا الخبر يحمل في مضمونه أثر الاختلاط بين وزير وسكرتيرته دون محرم . . .

هذا من ناحية ، من ناحية أخرى يحمل عدم الاعتراف بما نجم عن هذا الاختلاط ، وهذا يعنى بصورة غير مباشرة عدم الاعتراف بالاختلاط والاستمرار فيه ، فالاختلاط في عمومه : يحمل من الآثار السيئة ما يجعل كثيرا من الدعاة المخلصين يدعون إلى تنظيمه في إطار محدد يمنع شروره . . . مما يعد رجوعا إلى الهدى النبوي الشريف منذ أربعة عشر قرنا .

** ** **

البدانة

قال ﷺ : « ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لابد فاعلاً ، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه »

رواه الإمام أحمد والترمذي وغيرهما .

وقوله : « المعدة بيت الداء » .

* قد توصل العلم إلى أن السمنة [من الناحية الصحية] تعتبر خللا في التمثيل الغذائي وذلك يرجع إلى تراكم الشحوم أو اضطراب الغدد الصماء . . والوراثة ليس لها دور كبير في السمنة كما يعتقد البعض ، وقد أكدت البحوث العلمية أن للبدانة عواقب وخيمة على جسم الإنسان ، وقد أصدرت إحدى شركات التأمين الأمريكية إحصائية تقرر أنه كلما طالت خطوط حزام البطن قصرت خطوط العمر فالرجال الذين يزيد محيط بطونهم أكثر من محيط صدورهم يموتون بنسبة أكبر ، كما أثبتت البحوث أيضا أن مرض البول السكري يصيب الشخص البدين غالبا أكثر من العادي ، كما أن البدانة تؤثر في أجهزة الجسم [وبالذات القلب] حيث تحل الدهون محل بعض خلايا عضلة القلب مما يؤثر بصورة مباشرة على وظيفته ، وصدق رسول الله [ﷺ] حين حذر من السمنة والتخمة فقال : « المعدة بيت الداء » وحذرت تلك البحوث من استخدام العقاقير لإنقاص الوزن لما تسببه من أضرار ، وأشارت إلى أن العلاج الأمثل للبدانة والوقاية منها هوا تباع ما أمرنا به الله [سبحانه وتعالى] بعدم الإسراف في تناول الطعام وإتباع سنة رسول الله [ﷺ] في تناول الطعام كما أوضح الحديث الذي نحن بصدده . . . وجاء تطبيقا لقوله تعالى :

﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [سورة الأعراف ٣١] .

وبهذا سبق الإسلام العلم الحديث منذ أكثر من أربعة عشر قرنا إلى أهمية التوازن في تناول الطعام والشراب ، وحذر من أخطار الإسراف فيهما على صحة الإنسان .

* **وقاية الجهاز الهضمي** : قال [ﷺ] : « **أصل كل داء البردة** » البردة : التخمة : أخرجه الحافظ السيوطي في الجامع الصغير .

* هذا الحديث يعد علامة بارزة في حفظ صحة الجهاز الهضمي ، وبالتالي وقاية الجسم كله من التسمم الذاتي الذي ينشأ عن التخمة وامتلاء المعدة وتحميلها فوق طاقتها من الأغذية الثقيلة ، وعن تناول الغذاء ثانية قبل هضم الغذاء الأول ، الأمر الذي يحدث عسر هضم وتخمرات . . وبالتالي التهاباتٍ معديةً حادةً تصير مزمنةً من جراء توطن الجراثيم المرضيّة في الأمعاء التي ترسل سمومها إلى الدورة الدموية ، فتؤثر على الجهاز العصبي والجهاز التنفسي ، وعلى الجهاز البولي الكلوي وغيره ذلك من أجهزة حيوية في الجسم ، الأمر الذي يسبب اختلال وظائفها .

ومن هنا كانت المعجزة الطبية في إمكان التوصل إلى السبب الأساسي لكل داء وهو : الإسراف في تناول الطعام ، والذي يسبب تخمة تؤدي إلى أمراض عديدة كما كشفتها البحوث الطبية الحديثة .

** ** **

البرزخ البحري

الصور الحديثة التي التقطت للبحار قد أثبتت أن بحار الدنيا ليست موحدة التكوين.. بل تختلف في الحرارة والملوحة والكثافة ونسبة الأوكسجين.. وفي صورة التقطت بالأقمار الصناعية ، ظهر كل بحر بلون مختلف عن البحر الآخر . . فبعضها أزرق قاتم ، وبعضها أسود ، وبعضها أصفر . . وذلك بسبب اختلاف درجات الحرارة في كل بحر عن الآخر . . وقد التقطت هذه الصورة بالخاصية الحرارية وبالأقمار الصناعية ومن سفن الفضاء . . وظهر خط أبيض رفيع يفصل بين كل بحر وآخر ، قال تعالى : ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ نجد أن وسائل العلم الحديث قد وصلت إلى تصوير البرزخ بين البحرين . . وبينت معنى ﴿ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ بأن مياه أي بحر حين تدخل إلى البحر الآخر عن طريق البرزخ فلا تبغي مياه بحر على مياه بحر آخر فتغيرها .

** ** **

الجذام

قال رسول الله ﷺ : **« فر من المجذوم كما تفر من الأسد »**

رواه البخاري .

لقد أثبت علم الطب الحديث أن مرض الجذام من أخطر الأمراض الجلدية التي تنتقل بالعدوى من خلال ميكروب الجذام ؛ والذي أمكن مشاهدته والتعرف عليه أخيراً منذ أكثر من مائة عام ، ومع ذلك لم يستطع العلم الحديث السيطرة عليه حتى الآن .

ومرض الجذام : يصيب أطراف الأعصاب مثل أطراف أعصاب الذراعين ، ويجعل المريض يفقد الإحساس ؛ فلا يحس بالألم والحرارة والبرودة ، بل ويمكن أن تدخل الشوكة في قدمه دون أن يشعر بها فضلا عن إصابة المريض بضمور في عضلات اليدين والساقين ، وقروح في الجلد خاصة في القدمين واليدين ، وتتآكل عظامهما ، وتفقد بعض أجزاء منهما كالأصابع ، ويمكن أن يصيب القرنية فيؤثر على الإبصار .

كما أن مرض الجذام يصيب أيضا الخصيتين . . وهذا يعني أن مريض الجذام يفقد القدرة الجنسية ؛ وبالتالي لا تكون له ذرية من أولاد .

والجذام نوعان :

* **النوع العقدي :** وهو الذي يصيب ذوي المناعة الضعيفة ويظهر على هيئة عقيدات مختلفة الحجم تصيب الجسم وخاصة الوجه ؛ فتكسبه شكلاً خاصاً يشبه وجه الأسد . . كما يسبب هذا النوع سقوط شعر الحاجبين ، وقد يصيب الغشاء المخاطي للأنف ويسبب نزيفاً منه.

* **النوع البقعي الخدري** : وهو الذي يصيب الجلد على هيئة بقع باهتة مختلفة الأشكال والأحجام . . وتتميز هذه البقع بفقدان الحساسية والعرق ونقص في كمية صبغة خلايا الجلد ؛ وهذا النوع يصيب المرضى ذوي المناعة الجيدة نسبياً ، ومن عظمة التوجيه النبوي الشريف للذين أنعم الله عليهم بنعمة الصحة وعدم الابتلاء بهذا المرض اللعين قوله ﷺ : « **لا تديموا النظر إلى المجذومين** »[1] .

* فلقد أثبت علم النفس الحديث أن المجذوم إذا رأى صحيح البدن يديم النظر إليه فتعظم مصيبته وتزداد حسرته . . ومن ثم فقد جاء النهي عن النظر إليهم رعاية لمشاعرهم .

هكذا أدرك الرسول [ﷺ] خطورة العدوى من مريض الجذام فأمر الأصحاء بالابتعاد عن المصابين به على الفور كما يبتعد الشخص عن الأسد المفترس ، ولا سيما أن ميكروب الجذام إذا تمكن من الشخص الصحيح افترسه .

لقد قيل هذا الحديث منذ أكثر من أربعة عشر قرناً . . ويجئ العلم الحديث ليثبت صحته وينصح بالتوجيه النبوي الشريف .

** ** **

---

(١) إرشاد الساري لشرح البخاري ـ باب الجذام .

الجلد

الناس من قبل كانوا يتصورون أن جسم الإنسان حساس كله أينما ضربته يتألم ؛ تضربه في رأسه يتألم ؛ تضربه في عينيه يتألم ، وكانوا يعتقدون أن جسمه حساس كله للألم ؛ حتى تقدم علم التشريح فجاء بحقيقة قال : لا ليس الجسم كله ، الجلد فقط ؛ بدليل أنك لو جئت بإبرة ووضعتها في جسم الإنسان فإنها بعد أن تدخل من جلد الإنسان إلى اللحم لا يتألم ثم شرحوا هذا تحت المجهر فوجدوا أن الأعصاب تتركز في الجلد ووجدوا أن أعصاب الإحساس متعددة وأنها أنواع مختلفة : منها ما يحس باللمس ومنها ما يحس بالضغط ومنها ما يحس بالحرارة ومنها ما يحس بالبرودة .

ووجدوا أن أعصاب الإحساس بالحرارة والبرودة لا توجد إلا في الجلد فقط . وعليه : إذا دخل الكافر النار يوم القيامة وأكلت النار جلده كيف تكون المسألة ؟ فالكفار ليس لديهم آية تبين لهم المسألة ، فتصبح مشكلة عند أهل الإيمان في مواجهة أهل الإلحاد يقولون : تخوفونا من النار ! فالنار تأكل الجلد ثم نرتاح . لكن الجواب يأتي من المولى [جل وعلا] كاشفا للسر ونذيرا للكافرين فيقول المولى [جل وعلا] : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء ٥٦] .

وإذا كان المولى [جل وعلا] يخبرنا بأنه سيبدل الجلد جلدا آخر لنذوق عذاب النار ؛ فإنه عندما أخبرنا بالعذاب الذي سيكون بالمعدة من شراب النار لا يكون بتغيير معدة أخرى للتألم قال تعالى : ﴿ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ

أَمۡعَآءَهُمۡ ﴾ [محمد ١٥] . ولماذا هنا قطع أمعاءهم ؟ لأنهم وجدوا تشريحيا أنه لا يوجد أبدا أعصاب للإحساس بالحرارة أو البرودة بالأمعاء وإنما تتقطع الأمعاء ، فإذا قطعت الأمعاء ونزلت في الأحشاء فإنه من أشد أنواع الآلام تلك الآلام ، التي عندما تنزل مادة غذائية إلى الأحشاء عندئذ يحس المريض كأنه يطعن بالخناجر ، فوصف القرآن ما يكون في الجلد ووصف ما يكون هنا بالمعدة والأمعاء وكان وصفا لا يكون إلا من عند من يعلم سر تركيب الجلد وسر تركيب الأمعاء .

** ** **

الحجامة

قال ﷺ : « **نعم العبد الحجّام ؛ يذهب الدم ، ويجفف الصلب ، ويجلو عن البصر** » رواه الترمذي .

وقد روي أيضاً : « **أن النبي [ﷺ] احتجم وأعطى الحجّام أجرة** »

البخاري ومسلم .

لقد أثبت العلم الحديث أن الحجامة قد تكون شفاء لبعض أمراض القلب وبعض أمراض الدم وبعض أمراض الكبد . . ففي حالة شدة احتقان الرئتين نتيجة هبوط القلب وعندما تفشل جميع الوسائل العلاجية من مدرات البول وربط الأيدي والقدمين لتقليل اندفاع الدم إلى القلب ؛ فقد يكون إخراج الدم بفصده عاملا جوهريا هاما لسرعة شفاء هبوط القلب ، كما أن الارتفاع المفاجئ لضغط الدم المصحوب بشبه الغيبوبة وفقد التمييز للزمان والمكان ، أو المصاحب للغيبوبة نتيجة تأثير هذا الارتفاع الشديد المفاجئ لضغط الدم؛ قد يكون إخراج الدم بفصده علاجاً لمثل هذه الحالة .

كما أن بعض أمراض الكبد [مثل التليف الكبدي] لا يوجد علاج ناجح لها سوى إخراج الدم بفصده ، فضلاً عن بعض أمراض الدم التي تتميز بكثرة كرات الدم الحمراء وزيادة نسبة الهيموجلوبين في الدم؛ تلك التي تتطلب إخراج الدم بفصده ؛ حيث يكون هو العلاج الناجح لمثل هذه الحالات منعاً لحدوث مضاعفات جديدة .

ومما هو جدير بالذكر ؛ أن زيادة كرات الدم الحمراء قد تكون نتيجة الحياة في الجبال المرتفعة ونقص نسبة الأوكسجين في الجو ، وقد تكون نتيجة

الحرارة الشديدة بما لها من تأثير واضح في زيادة إفرازات الغدد العرقية ؛ مما ينتج عنها زيادة عدد كرات الدم الحمراء . . ومن ثم كان إخراج الدم بفصده هو العلاج المناسب لمثل هذه الحالات ، ومن هنا جاء قوله [ﷺ] : « خير ما تداويتم به الحجامة » ورد في الطب النبوي ـ ابن قيم الجوزية ؛ وهو قول اجتمعت فيه الحكمة العلمية التي كشفتها البحوث العلمية مؤخراً .

** ** **

الحديد

قال أشهر علماء العالم في مؤتمرات الإعجاز العلمي للقرآن الكريم . . الدكتور (استروخ) وهو من أشهر علماء وكالة ناسا الأمريكية للفضاء . . قال : لقد أجرينا أبحاثا كثيرة على معادن الأرض وأبحاثا معملية . . ولكن المعدن الوحيد الذي يحير العلماء هو الحديد . . قدرات الحديد لها تكوين مميز . . إن الالكترونات والنيترونات في ذرة الحديد لكي تتحد فهي محتاجة إلى طاقة هائلة تبلغ أربع مرات مجموع الطاقة الموجودة في مجموعتنا الشمسية . . ولذلك فلا يمكن أن يكون الحديد قد تكّون على الأرض . . ولابد أنه عنصر غريب وفد إلى الأرض ولم يتكون فيها قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحديد ٢٥] .

** ** **

الحمّى

قال ﷺ : « **إن الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء** » رواه البخاري .

وقوله عندما ذكرت الحمى فسبها رجل : « **لا تسبها فإنها تنقى الذنوب كما تنقى النار خبث الحديد** » رواه مسلم .

* لقد تبين أنه عند الإصابة بالحمى ذات الحرارة الشديدة [التي قد تصل إلى ٤١ درجة مئوية] والتي وصفها عليه الصلاة والسلام بأنها من فيح جهنم ؛ قد يؤدي ذلك إلى هياج شديد ، ثم هبوط عام وغيبوبة ؛ تكون سببا في الوفاة . . . ولذا كان لزاما تخفيض هذه الحرارة المشتعلة بالجسم فورا حتى ينتظم مركز تنظيم الحرارة بالمخ ، وليس لذلك وسيلة إلا وضع المريض في ماء أو عمل كمادات من الماء البارد والثلج ؛ حيث أنه إذا انخفضت شدة هذه الحرارة عاد الجسم كحالته الطبيعية بعد أن ينتظم مركز تنظيم الحرارة بالمخ ، ويقلل هذه الحرارة بوسائله المختلفة من تبخير وإشعاع وغيرهما .

ولذا كان الرسول [ﷺ] إذا حم دعا بقربة من ماء فأفرغها على رأسه فاغتسل ، ولما كانت الحمى يستلزمها حمية عن الأغذية الرديئة وتناول الأغذية والأدوية النافعة [وفي ذلك إعانة على تنقية البدن وتصفيته من مواده الرديئة التي تفعل فيه كما تفعل النار في الحديد في نفي خبثه وتصفية جوهره] كانت أشبه الأشياء بنار الكير التي تصفى جوهر الحديد ، وقد ثبت علميا أنه عند الإصابة بالحمى تزيد نسبة مادة (الأنترفيرون) لدرجة كبيرة ، كما ثبت أن هذه المادة [التي تفرزها خلايا الدم البيضاء] تستطيع القضاء على الفيروسات

التي هاجمت الجسم وتكون أكثر قدرة على تكوين الأجسام المضادة الواقية . . .

فضلا عن ذلك فقد ثبت أن مادة (الأنترفيرون) التي تفرز بغزارة أثناء الإصابة بالحمى لا تخلص الجسم من الفيروسات والبكتريا فحسب ، ولكنها تزيد مقاومة الجسم ضد الأمراض وقدرتها على القضاء على الخلايا السرطانية منذ بدء تكوينها وبالتالي حماية الجسم من ظهور أي خلايا سرطانية يمكن أن تؤدى إلى إصابة الجسم بمرض السرطان؛ ولذا قال بعض الأطباء :

إن كثيراً من الأمراض نستبشر فيها بالحمى كما يستبشر المريض بالعافية فتكون الحمى فيها أنفع من شرب الدواء بكثير ؛ مثل مرض الروماتيزم المفصلي الذي تتصلب فيه المفاصل وتصبح غير قادرة على التحرك ، ولذلك من ضمن طرق العلاج الطبي في مثل هذه الحالات : الحمى الصناعية ، أي : إيجاد حالة حمى في المريض بحقنه بمواد معينة .

ومن هنا ندرك حكمة رسول الله [ﷺ] في رفض سب الحمى ، بل والإشادة بها ؛ بوصفها تنقى الذنوب كما تنقى النار خبث الحديد؛ كما أشار الحديث الشريف الذي نحن بصدده .

** ** **

الداء والدواء في الذباب

قال ﷺ : « **إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينتزعه ؛ فإن في إحدى جناحية داء وفي الأخرى شفاء** » أخرجه البخاري وابن ماجه وأحمد . .

وقوله : « **أحدُ جناحي الذباب سم والآخر شفاء ، فإذا وقع في الطعام فامقلوه ؛ فإنه يقدم السم ، ويؤخر الشفاء** » رواه أحمد وابن ماجه .

* من معجزاته الطبية [ﷺ] التي يجب أن يسجلها له تاريخ الطب بأحرف ذهبية : ذكره لعامل المرض وعامل الشفاء ، محمولين على جناحي الذبابة قبل اكتشافهما بأربعة عشر قرنا . .

وذكره لتطهير الماء إذا وقع الذباب فيه وتلوث بالجراثيم المرضية الموجودة في أحد جناحيه بغمس الذبابة في الماء ؛ لإدخال عامل الشفاء الذي يوجد في الجناح الآخر ، الأمر الذي يؤدي إلى إبادة الجراثيم المرضية الموجودة بالماء .

وقد أثبتت التجارب العلمية الحديثة الأسرار الغامضة التي في هذا الحديث ؛ أن هناك خاصية في أحد جناحي الذباب هي أنه يحول البكتريا إلى ناحية . . وعلى هذا فإذا سقط الذباب في شراب أو طعام وألقى الجراثيم العالقة بأطرافه في ذلك الشراب أو الطعام . . فإن أقرب مبيد لتلك الجراثيم وأول واحد منها هو مبيد البكتريا ؛ والذي يحمله الذباب في جوفه قريباً من أحد جناحيه فإذا كان هناك داء فدواؤه قريب منه . . ولذا فإن غمس الذباب كله وطرحه كافٍ لقتل الجراثيم التي كانت عالقة به ، وكافٍ في إبطال عملها .

كما أنه قد ثبت علميا أن الذباب يفرز جسيماتٍ صغيرةً من نوع الإنزيم

تسمى [باكتر يوفاج] أي (مفترسة الجراثيم) وهذه المفترسة للجراثيم [الباكتر يوفاج] أو عامل الشفاء صغيرة الحجم يقدر طولها بـــ ٢٠ ٢٥ ميلـي ميكـرون فإذا وقعت الذبابة في الطعام أو الشراب وجب أن تغمس فيه ؛ كي تخرج تلك الأجسام الضدية فتبيد الجراثيم التي تنقلها من هنا . وهذا هو العلم قد حقق ما أخبر عنه النبي [ﷺ] بصورة إعجازية لمن يرفض الحديث .

وقد كتب الدكتور أمين رضا [أستاذ جراحة العظام بكلية الطب جامعة الإسكندرية] بحثاً عن حديث الذبابة أكد فيه أن المراجع الطبية القديمة فيها وصفات طبية لأمراض مختلفة باستعمال الذباب .

* وفي العصر الحديث صرح الجراحون الذين عاشوا في السنوات العشر التي سبقت اكتشاف مركبات السلفا [أي في الثلاثينيات من القرن الحالي] بأنهم قد رأوا بأعينهم علاج الكسور المضاعفة والقرحات المزمنة بالذباب . ومن هنا يتجلى أن العلم في تطوره قد أثبت في نظرياته العلمية موافقته وتأكيده على مضمون الحديث الشريف ؛ مما يعد إعجازاً علمياً قد سبق به العلماء الآن .

** ** **

الزمن بين العلم والقرآن

إن القرآن الكريم يفتح للعلماء دائما آفاقاً علمية جديدة للتفكير والتأمل ، والعلم الصحيح لا بد أن يؤدي إلى الإيمان ، ولا يمكن أن يحدث تعارض بين الحقائق العلمية والقرآن إلا إذا اخطأ العالم في نظريته أو اخفق المفسر في تأويله للآية القرآنية .

كما أن القرآن تعرض لقضايا علمية كثيرة ؛ منها موضوع خلق الكون ، الزمان ، المكان ، والقرآن يشير إلى أن الله خلق الكون في ستة أيام ، والأيام عند الله هي فترات زمنية وليست أياما بالمعنى الأرضي ؛ لأن الزمن نسبي وليس مطلقا ، وهو ما يتفق ومعطيات العلم الحديث والنظرية النسبية .

* وللزمن في حياة الكائنات الحية [بل وغير الحية] أهمية كبيرة ، فكلنا يهتم بقياس الزمن كمحدد للعمر . وكذلك الشعب المرجانية والمواد المشعة كالراديوم واليورانيوم تنحل إشعاعيا لتتحول إلى رصاص . ولكل عنصر مشع معدل معين للانحلال . وقد استخدم العلماء بعض المواد المشعة كاليورانيوم والكربون ١٤ لتعيين عمر الأرض وعمر الحياة على الأرض ، كما استخدم العلماء ظاهرة تمدد الكون واتساعه المستمر لتعيين عمر الكون .

إن عمر الكون قضية لإثبات وجود الله ، لأن الكون طالما أن له بداية زمنية محددة فلا بد أن يكون قد أوجده (مبدىء) لأنه لا يمكن أن يكون قد بدأ بنفسه . وقد وجه القرآن للإنسان دعوة صريحة للبحث عن نشأة الكون وبداية الخلق فيقول الحق [سبحانه] : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ ونستخلص من هذه الآية عدة إشارات مهمة ؛

منها : أن السير في الأرض سوف يرشدنا لبداية الخلق . والتعبير القرآني بالسير في الأرض وليس عليها يشير إلى البحث في الطبقات الجيولوجية للأرض ؛ للتعرف على نشأتها ونشأة المملكة النباتية والحيوانية فيها ، بل وعلى بداية الخلق بجميع أنواعه بما في ذلك الكون .

* ولقد ذكر القرآن في كثير من آياته أن الله [تعالى] خلق الكون في ستة أيام كما قي قوله [سبحانه] : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [سورة ق ٣٨] .

والمقصود هنا بالأيام : المراحل أو الحقب الزمنية لخلق الكون وليست الأيام التي نعدها نحن البشر ؛ بدليل عدم الإشارة إلى ذلك بعبارة ﴿ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ في أي من الآيات التي تتحدث عن الأيام الستة لخلق السماوات والأرض كما في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [سورة هود ـ آية ٧] .

وبقوله سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة ٤ ، ٥] .

وقد أجمع المفسرون على أن الأيام الستة للخلق قسمت إلى ثلاثة أقسام متساوية ، كل قسم يعادل يومين من أيام الخلق بالمفهوم النسبي للزمن .

* * **أولاً** : يومان لخلق الأرض من السماء الدخانية الأولى ، فالله تعالى يقول : ﴿ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت ٩] .

ويقول أيضاً : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ [الأنبياء ٣٠] .

وهذا دليل على أن السماوات والأرض كانتا في بيضة كونية واحدة ﴿ رَتْقًا ﴾ ثم انفجرت ﴿ فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ .

* * ثانياً : يومان لتسوية السماوات السبع طبقا لقوله : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت ١٢] .

وهو يشير إلى الحالة الدخانية للسماء ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ [فصلت ١١] .

بعد الانفجار العظيم بيومين ، حيث بدأ بعد ذلك تشكيل السماوات ﴿ فَقَضَاهُنَّ ﴾ أي صنعهن وأبدع خلقهن سبع سماوات في فترة محددة بيومين آخرين

ثالثاً : يومان لتدبير الأرض جيولوجيا وتسخيرها لخدمة الإنسان ، يقول سبحانه ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا ﴾ [فصلت ١٠] .

وهو ما يشير إلى جبال نيزكية سقطت واستقرت في البداية على قشرة الأرض فور تصلبها ؛ بدليل قوله تعالى : ﴿ مِن فَوْقِهَا ﴾ ، ﴿ وَبَارَكَ فِيهَا ﴾ أي أكثر من خيراتها بما جعل فيها من المياه و الزروع والضروع أي : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ [النازعات ٣١] .

و ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴾ [فصلت ١٠] ؛ أي : أرزاق أهلها ومعاشهم ، بمعنى : أنه خلق فيها أنهارها وأشجارها ودوابها استعداد لاستقبال الإنسان ﴿ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴾ [فصلت ١٠] أي : في أربعة أيام متساوية بلا زيادة ولا نقصان للسائلين من البشر .

و أن العلماء قد توصلوا باستخدام الانحلال الإشعاعي لليورانيوم وتحوله إلى رصاص [في قياس عمر الصخور الأرضية والنيزكية] إلى أن تكوين القشرة الأرضية « تصلب القشرة » بدأ منذ ٤,٥ مليار سنة وأن هذا الرقم هو أيضا عمر

صخور القمر . وقد استخدم العلماء حديثا الكربون المشع لتحديد عمر الحفريات النباتية والحيوانية وتاريخ الحياة على الأرض ، وبهذا فإن كوكب الأرض بدأ تشكيله وتصلب قشرته منذ ٤٥٠٠ مليون سنة ، وأن الإنسان زائر متأخر جدا لكوكب الأرض بعد أن سخر له الله ما في الأرض جميعا . ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ . [الإنسان ١] .

ويؤكد العلم أن الإنسان ظهر منذ بضع عشرات الألوف من السنين دون تحديد نهائي ، ويمكن أن نعتبر أن التشكيل الجيولوجي للأرض بدأ من إرساء الجبال النيزكية على قشرتها الصلبة وانبعاث الماء والهواء من باطن الأرض وتتابع أفراد المملكة النباتية والحيوانية حتى ظهور الإنسان . وقد استغرق ذلك فترة زمنية قدرها ٤,٥ مليار سنة والتي يشير إليها القرآن في سورة فصلت على أنها تعادل ثلث عمر الكون وحيث أن التدبير الجيولوجي للأرض منذ بدء تصلب القشرة الأرضية وحتى ظهور الإنسان قد استغرق زمنا قدره ٤,٥ مليار سنة فإنه يمكننا حساب عمر الكون قرآنيا بضرب هذه الفترة الجيولوجية في ٣ على اعتبار أن الأيام الستة للخلق مقسمة إلى ثلاثة أقسام متساوية . وكل قسم يعادل يومين من أيام الخلق بالمفهوم النسبي للزمن . ومن ثم يصبح عمر الكون ١٣,٥ مليار سنة

و أن العلم لم يصل حتى الآن إلى تقسيم مراحل خلق الكون الستة . فالأبحاث تدور كلها حول تحديد عمر الكون منذ الانفجار العظيم الذي يسمى في الفيزياء الكونية بـــ « Big Bang » ويقدر العلماء عمر الكون بطريقة مختلفة ووفق رؤى متعددة ؛ فهناك من يحدد عمر الكون حسب ظاهرة تمدد الكون والإزاحة الحمراء بـــ ١٠ إلى ١٨ مليار سنة ، وبطريقتين نوويتين مختلفتين لكل من (فاولار) (وهويل) حيث استنتجا أن عمر الكون هو بحدود ١٣ أو ١٥ مليار سنة .

** ** **

السماء والأرض

يقول ربنا سبحانه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة ٢٩] .

والآية الأخرى تقول : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ بينما الأرض كانت متقدمة وقد تطورت ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ أي أن هناك مرحلة من مراحل السماء كانت دخاناً ، هذا كلام الله ، وهذا ما يقول به العلم أخيرا ! يقولون : تريدون الأدلة ؟ اذهبوا إلى أي مرصد من المراصد وانظروا بأعينكم إلى السماء فستجدون الدخان في السماء . . بقايا الدخان تتكون منه نجوم وكواكب إلى يومنا هذا ! !

لو قلت لأعرابي أو لمثقف : هل الدخان ينتج عن النار أم النار تنتج عن الدخان ؟ فسيقول : الدخان نتيجة للنار .

قلت : النجوم والكواكب هل كان يتصور إنسان أنها كانت دخانا ؟ ! إن النار هذه كانت دخانا ؟ لا يخطر على بال أحد لكن هذا هو الذي يقرره القرآن ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت ١١]

عندما بدأت الأرض تتكون ـ وهذه أيضا من نفس الكتاب ـ [حيث كانوا يدرسون الأرض فيقولون] : تكونت الجبال عن طريق خروجها من باطن الأرض في صورة براكين . . انظروا تكون جبل . وتكون جبل . . وهكذا . . فالجبال ألقى بها من باطن الأرض ﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ [الانشقاق . ٣ ـ ٤] ألقت ما فيها هذا في النهاية أما في البداية أي أن الرواسى التي جاء ذكرها في قوله تعالى :

﴿ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴾ [النازعات ٣٢] . تتكون عن طريق الإلقاء ، فألقى بالجبال ثم ماذا ؟ ثم خرجت المياه من باطن الأرض ، جميع البحار والأنهار كانت كلها في باطن الأرض وخرجت من باطن الأرض إلى أعلى . كذلك النباتات ، غاز ثاني أكسيد الكربون ، الهواء الذي تتكون منه أجسام النباتات ، إلى جانب التربة ، كلها كانت في باطن الأرض ثم خرجت الأصلية خرجت أيضا من باطن الأرض ، اسمعوا إلى قول المولى [جل وعلا] : ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ للكلام عن بداية الخلق ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴾ [النازعات ٢٧ ـ ٣٢] .

ألم يقولوا أخيراً ما قاله الله أولا ، هذا كلامهم يلتقي مع قوله سبحانه : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ .

[النازعات : ٣١ ـ ٣٣] .

لكن أتدرون ما بعد هذه الآية ؟ ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴾ [النازعات : ٣٤ ـ ٣٦] انظروا هذه الآية عندنا منذ ١٤٠٠ سنة والآن يقولون : شاهدنا هذا والله ودرسنا الأرض ودرسنا تاريخها فوجدنا هذا قد خلق هكذا ، فكما أن الجزء الأول يتكلم عن بداية الخلق فإن الثاني يتكلم عن نهاية الخلق ، وكما رأينا الجزء الأول حقا فسنرى الجزء الثاني حقا ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴾ . . الإنسان أنا وأنت . . في ذاك الوقت سنتذكر سعينا . . ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ـ تجاوز الحد ـ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ إي وربي إنه لحق ؛ لأنه كله من عنده ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات . ٤٠ ـ ٤١] .

اختر لنفسك ما تريد . . هذا كلام رب العالمين .

درسوا باطن الأرض ، وأرضنا هذه درسوا باطنها فماذا وجدوا ؟ وجدوا باطنها في حالة التهاب ثم تخرج منه تيارات حرارية؛ هكذا في دوامة وتيارات أخرى تمثل دوامة مثل براد الشاي حين يفور يصعد الماء وينزل ويعمل دوامة . . هكذا باطن الأرض يفور من هنا . . فرن كبير جدا . . هذا الفرن يحمى باطن الأرض . . باطن الأرض في حالة دوامات متحركة . . تصوروا لو أنهم قطعوا الأرض نصفين فقالوا : هذه مادة الأرض التي تحتنا وهذه القشرة الأرضية التي نحن عليها التي من أعلى هذه القشرة الأرضية ، وهذه المادة التي تحتها . . ومن هنا إلى هنا مادة في غاية الحرارة هي التي فيها الدوامات ، وهذا سائل . . مادة منصهرة سائلة . . وهذه مادة صلبة . . أظن هذا أيضا من القشرة القلب وهذه المادة التي تحدث فيها الدوامات وهذه القشرة التي نحن عليها انظروا هذا ، لقد وجدوا أنها سبع قطع تحتها هنا مادة صلبة بعض الشيء وفوقها هذه القطع مقطعة . . هنا تبدأ قطعة وهنا تبدأ قطعة . . الأرض . . ما لون هذا الفراش الذي نحن عليه ؟ . . لماذا نجعله الفراش ؟ ما فائدة الفراش ؟ لنتقى به أذى ما تحتنا . . أليس كذلك ؟ . . الذي تحتنا هنا نار . . قدور . . . . وصخور هائلة تقذف من قاع الأرض . . وفوقها قشرة ساخنةً جداً لو كنا عليها لكنا نموت وما يبقى شيء . . ففرشها الله بفرش سمكه ٧٠ كيلو مترا . . هذه القشرة التي ترونها أنتم سمكها ٧٠ كيلو مترا . . لنتقى بهذا الفراش ما تحتنا وهو قطعة واحدة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا ﴾ [البقرة ٢١ ـ ٢٢] .

فرشها تحتنا حتى لا نضار بما يوجد في باطن الأرض . . لم يعرف العلماء هذه الحقائق إلا في السنوات العشر الأخيرة .

** ** **

الغضب

رُوي أن رجلا قال للنبي [ﷺ] أوصني ، قال : « لا تغضب » فردد مراراً قال « لا تغضب » رواه البخاري .

ثبت علمياً أن الغضب صورة من صور الانفعال النفسي ، يؤثر على قلب الشخص الذي يغضب تأثير العدو أو الجري على القلب ، وانفعال الغضب يزيد من عدد مرات انقباضاته في الدقيقة الواحدة ، فيضاعف بذلك كمية الدماء التي يدفعها القلب أو التي تخرج منه إلى الأوعية الدموية مع كل واحدة من هذه الانقباضات أو النبضات ، وهذا بالتالي يجهد القلب لأنه يقسره على زيادة عمله عن معدلات العمل الذي يفترض أن يؤديه بصفة عادية أو ظروف معينة ، إلا أن العدو أو الجري في إجهاده للقلب لا يستمر طويلاً لأن المرء يمكن أن يتوقف عن الجري إن هو أراد ذلك ، أما في الغضب فلا يستطيع الإنسان أن يسيطر على غضبه ؛ لا سيما إن كان قد اعتاد على عدم التحكم في مشاعره . وقد لوحظ أن الإنسان الذي اعتاد على الغضب يصاب بارتفاع ضغط الدم ويزيد عن معدله الطبيعي حيث أن قلبه يضطر إلى أن يدفع كمية من الدماء الزائدة عن المعتاد المطلوب ، كما أن شرايينه الدقيقة تتصلب جدرانها وتفقد مرونتها وقدرتها على الاتساع لكي تستطيع أن تمرر أو تسمح بمرور أو سريان تلك الكمية من الدماء الزائدة التي يضخها هذا القلب المنفعل ، ولهذا يرتفع الضغط عند الغضب ، هذا بخلاف الآثار النفسية والاجتماعية التي تنجم عن الغضب في العلاقات بين الناس ، والتي تقوّض من الترابط بينهم .

ومما هو جدير بالذكر ؛ أن العلماء كانوا يعتقدون في الماضي أن الغضب

الصريح ليس له أضرار وأن الغضب المكبوت فقط هو المسؤول عن كثير من الأمراض ، ولكن دراسة أمريكية حديثة قدمت تفسيراً جديدا لتأثير هذين النوعين من الغضب مؤداه : أن الكبت أو التعبير الصريح للغضب يؤديان إلى الأضرار الصحية نفسها وإن اختلفت حدتها ففي حالة الكبت قد يصل الأمر عند التكرار إلى الإصابة بارتفاع ضغط الدم وأحيانا إلى الإصابة بالسرطان ، أما في حالة الغضب الصريح وتكراره : فإنه يمكن أن يؤدى إلى الإضرار بشرايين القلب واحتمال الإصابة بأزمات قلبية قاتلة ؛ لأن انفجار موجات الغضب قد يزيده اشتعالا ويصبح من الصعب التحكم في الانفعال مهما كان ضئيلاً .

فالحالة الجسمانية للفرد لا تنفصل عن حالته النفسية ؛ مما يجعله يسري بسرعة إلى الأعضاء الحيوية في إفراز عصاراتها ووصول معدل إفراز إحدى هذه الغدد إلى حد سدّ الطريق أمام جهاز المناعة في الجسم ، وإعاقة حركة الأجسام المضادة المنطلقة من هذا الجهاز عن الوصول إلى أهدافها . الأخطر من ذلك كله : أن بعض الأسلحة الفعالة التي يستخدمها الجسم للدفاع عن نفسه [والمنطلقة من غدة حيوية] تتعرض للضعف الشديد نتيجة لإصابة هذه الغدة بالتقلص عند حدوث أزمات نفسية خطيرة ، وذلك يفسر احتمالات تحول الخلايا السليمة إلى سرطانية في غيبة النشاط الطبيعي لجهاز المناعة .

وصدق رسول الله [ﷺ] الذي أوصانا بعدم الغضب ، ومن هنا تظهر الحكمة العلمية والعملية في تكرار الرسول [ﷺ] توصيته بعدم الغضب .

***الغضب وآثاره السلبية**

يقول الدكتور أحمد شوقي إبراهيم عضو الجمعية الطبية الملكية بلندن واستشاري الإمراض الباطنية والقلب :

أن الميول الإنسانية تنقسم إلى أربعة أقسام ، ويختلف سلوك وتصرفات الأشخاص باختلاف هذه الميول ومدى السيطرة عليها :

١ الميول الشهوانية : وتؤدي الى الثورة والغضب .

٢ . الميول التسلطية : وتؤدي إلى الكبر والغطرسة وحب الرياسة . .

٣ . الميول الشيطانية : وتسبب الكراهية والبغضاء للآخرين .

٤ . الميول الإنسانية : وهي البشرية العامة .

ومهما كانت ميول الإنسان فإنه يتعرض للغضب فيتحفز الجسم ويرتفع ضغط الدم فيصاب بالأمراض النفسية والبدنية مثل السكر والذبحة الصدرية . وقد أكدت الأبحاث العلمية أن الغضب وتكراره يقلل من عمر الإنسان . لهذا ينصح الرسول [ﷺ] المسلمين في حديثه : « لا تغضب » وليس معنى هذا عدم الغضب تماما ، بل : عدم التمادي فيه .

وينبغي أن يغضب الإنسان اذا انتهكت حرمات الله . ورسوله الله [ﷺ] يقول لمن يغضب : « وإذا غضب أحدكم فليسكت » . . لان أي سلوك لهذا الغاضب لا يمكن أن يوافق عليه هو نفسه ، إذا ذهب عنه الغضب ، ولهذا يقول الرسول [ﷺ] : « لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان » . .

والقرآن الكريم يصور الغضب قوة شيطانية تقهر الإنسان وتدفعه إلى أفعال ما كان يأتيها لو لم يكن غاضبا ؛ ـ

* فسيدنا موسى.. ألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه. . فلما ذهب عنه الغضب.. ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ﴾ [الأعراف ١٥٤]. وكأن الغضب وسواس قرع فكر موسى ليلقي الألواح . .

* وتجنب الغضب يحتاج إلى ضبط النفس مع إيمان قوي بالله .

* ويمتدح الرسول [ﷺ] هذا السلوك في حديثه . . « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » الحديث متفق عليه ، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) .

ولا يكون تجنب الغضب بتناول المهدئات ؛ لان تأثيرها يأتي بتكرار تناولها ولا يستطيع متعاطي المهدئات أن يتخلص منها بسهولة ، ولأن الغضب

يغير السلوك : فإن العلاج يكون بتغيير سلوك الإنسان في مواجهة المشكلات اليومية فيتحول غضب الإنسان إلى هدوء واتزان . . . .

ويضيف الدكتور أحمد شوقي : إن الطب النفسي توصل إلى طريقتين لعلاج المريض الغاضب : ـ

* **الأولى** : من خلال تقليل الحساسية الانفعالية ؛ وذلك بتدريب المريض تحت إشراف طبيب على ممارسة الاسترخاء مع مواجهة نفس المواقف الصعبة فيتدرب على مواجهتها دون غضب أو انفعال .

* **الثانية** : من خلال الاسترخاء النفسي والعضلي ؛ وذلك كأن يطلب الطبيب من المريض أن يتذكر المواقف الصعبة وإذا كان واقفاً فليجلس أو يضطجع ليعطيه فرصة للتروي والهدوء . . هذا العلاج لم يتوصل إليه الطب إلا في السنوات القليلة الماضية بينما علّمه الرسول [ﷺ] لأصحابه في حديثه .

« إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإذا ذهب عنه الغضب أو فليضطجع »

في كتاب تنبيه الغافلين ـ للسمرقندي (٨٠) : (عن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ ـ : إن الغضب جمرة من النار ، فمن وجد ذلك منكم؛ فإن كان قائماً فليجلس ، وإن كان جالساً فليضطجع) .

** ** **

القلب

إن مركز الإيمان والتصبر في الإنسان هو : القلب .

أن القلب ليس مضخة للدماء ، بل هو مركز عقل وتعقل .

واكتشف حديثاً أن في القلب هرمونات عاقلة ، ترسل رسائل عاقلة إلى الجسم كله وإن القلب مركز عقل وتعقل ، وليس مجرد مضخة .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء ٣٦] .

** ** **

القمر والشمس

وجدوا أن القمر يسير بسرعة ١٨ كيلو مترا في الثانية الواحدة ، والأرض ١٥ كيلومترا في الثانية والشمس ١٢ كيلومترا في الثانية . . الشمس تجري والأرض تجري ، والقمر يجري ، قال الله [تعالى] : ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس ٣٨ ـ ٤٠] .

عليّ يجري ومحمد يسير بمنازل وعليّ لا يدرك محمدا ما معنى هذا ؟ معناه أن عليّا يجري ومحمد يجري ولكن عليّا لا يدرك محمدا الذي يجري وهذا يشبه قوله تعالى : ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ﴾ ثم قال : ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ ﴾ أيكون القمر قبلها أم لا ؟ . .

القمر قبلها وهي تجري ولا تدركه ، وتجري ولا تدركه ، لأن سرعة القمر ١٨ كيلومترا والأرض ١٥ كيلو مترا والشمس ١٢ كيلومترا فمهما جرت الشمس فإنها لا تدرك القمر ولكن ما الذي يجعل القمر يحافظ على منازله ؟ وكان من الممكن أن يمشي ويتركها ؟ وجدوا أن القمر يجري في تعرج يلف ولا يجري في خط مستقيم هكذا ولكنه جري بهذا الشكل حتى يبقى محافظا على منازله ومواقعه ، تأملوا فقط في هذه الحركة القمر ، الشمس ، الأرض ، النجوم تجري لو اختلف تقدير سرعاتها . . كان اليوم الثاني يأتي فنقول : أين الشمس ؟ نقول والله تأخرت عنا عشرين مرحلة ! ويجئ بعد سنة من يقول :

أين الشمس ؟ نقول : والله ضاعت . . ! من أجرى كل كوكب ؟ ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

يسبح ويحافظ على مداره ويحافظ على سرعته ويحافظ على موقعه فهذا صنع من ؟ ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [يس ٣٨] .

** ** **

المادة وقرين المادة

نحن نعلم أن العزيز الحكيم خلق الإنسان ، وجعل منه زوجين ذكرا وأنثى قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ﴾ [الحجرات ١٣] ، وذلك حتى يكون للإنسان رفيق وحتى يزداد التعارف والمودة بين خلقه . ولم يقتصر هذا النظام على الإنسان فقط ، بل تعداه ليشمل مملكة الحيوان؛ فقد جاء فيهما قال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴾

[النجم ٤٥ ، ٤٦] .

وقول الله تعالى : ﴿ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ [هود ٤٠] .

وكذلك مملكة النبات قال تعالى : ﴿ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ ﴾ [الرعد ٣] .

فالإنسان والشطر الأكبر من فصائل الحيوان والنبات خلقوا جميعا في صورة الذكر والأنثى ، هذا ما يخبرنا به القرآن وهو ما تعلمناه في علوم الأحياء .

وبالإضافة إلى ذلك : نرى في الآية التالية شمولا أكبر وأعم ، قال تعالى : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات ٤٩] .

فكلمة « شيء » هنا فهمها من قبلنا ويفهمها أكثرنا على أنها تشمل الإنسان والحيوان والنبات ، فقد جمع القرآن ذكرهم في هذه الآية ، وأخبرنا بأنه جعل من كل المخلوقات الحية زوجين .

وقد يكون الأمر كذلك؛ ولكنا إذا أمعنا النظر لوجدنا أن كلمة « شيء » فيها شمول أكثر من النبات والحيوان والإنسان ، إنها تشمل الجماد أيضا . فهل في الجماد زوجان ؟ من أجل الإجابة على هذا السؤال نحتاج لنزهة قصيرة في فيزياء الجسيمات .

* في النصف الأول من القرن العشرين كان أحد الفيزيائيين الإنجليز ـ واسمه ديراك Dirak ـ يقوم بأبحاث على معادلات الالكترونات ، والالكترونات كما نعلم هي الجسيمات السالبة الشحنة التي تدور حول نواه الذرة ، وفي أثناء قيامه بهذه الأبحاث اكتشف أن للمعادلات حلين وليس حل واحد . وأي واحد منا تعامل مع معادلات الدرجة الثانية يستطيع أن يدرك بسهوله هذا الموقف . فمعادلات الدرجة الثانية تحتوي على مربع كمية مجهولة ، والكمية المربعة دائما موجبة ، فحاصل ضرب ٢ × ٢ يعطي ٤ كذلك حاصل ضرب − ٢ ×-٢ يعطى أيضا نفس النتيجة . ومعنى ذلك أن الجذر التربيعي لـ ٤ هو إما ٢ أو ـ ٢ . وقد كانت معادلات ديراك أكثر تعقيدا من هذا المثال ولكن المبدأ هو نفسه ، فقد حصل على مجموعتين من المعادلات :

* **إحداهما** : للالكترونات السالبة الشحنة

والأخرى : لجسم مجهول ذي شحنة موجبة . وقد قام ديراك ببعض المحاولات غير الناجحة لتفسير سر هذا الجسيم المجهول ، فقد كان يؤمن بوجوده ، ولكن الفيزيائيين تجاهلوا بعد ذلك فكرة وجود جسيم موجب الشحنة يمكن أن يكون قرينا للالكترونات تماما ، كما يتجاهل المهندس الذي يتعامل مع معادلات الدرجة الثانية الحلول التي تعطى أطوالا أو كتلا سالبة .

وبعد عدة سنوات من أعمال ديراك النظرية وفي أوائل الثلاثينات اكتشف أثار هذا الجسيم المجهول في جهاز يسمى بغرفة الضباب loud chambre ، وعند دراسة تأثير المجال المغناطيسي على هذه الآثار اكتشف أن كتلة ذلك

الجسيم تساوي كتلة الإلكترون وانه يحمل شحنة موجبة ومساوية لشحنة الالكترون ، وعندئذ سمي هذا الجسيم بقرين الإلكترون (Antielectron) أو بالبروتون (Positron) ومن ثم بدأ البحث عن قرائن الجسيمات الأخرى . فمعنى وجود قرين للإلكترون وجود قرائن للجسيمات الأخرى ، وفعلاً بدأ اكتشاف هذه القرائن الواحد يلي الآخر وبدأ تقسيمها إلى أنواع ، ولن ندخل في تفاصيلها وسوف نكتفي بذكر نتيجتها النهائية وهي : وجود قرين لكل جسيم ، بل ولكل جسم .

* واكتشاف قرين المادة يخبرنا باحتمال وجود عالم آخر يناظر عالمنا المادي ويتكون من قرائن الجسيمات أي من قرين المادة . أي هو هذا العالم الذي يتكون من قرين المادة ؟ هذا هو السؤال الذي لم يستطع أحد الإجابة عليه ،

* فالأرض تتكون أساسا من مادة وليس من قرائن المادة ، أما قرائن المادة التي يتم إنتاجها في الأشعة الكونية (cosmic rays) أو في معجلات الجسيمات (Particle accelerator) لا تعيش مدة طويلة في الأجواء الأرضية ، فبمجرد أن تنخفض سرعتها بعض الشيء يتحتم عليها أن تواجه مصيرها المؤلم الذي لا تستطيع الفرار منه وهو المحق أو الإبادة بواسطة المادة المقابلة لها التي تملأ أجواء الأرض . فعندما يتقابل الجسيم مع قرينه أو المادة مع قرينها يبدد كل منهما الآخر ويختفي الاثنان في شيء يشبه الانفجار متحولين كلاهما إلى طاقة معظمها في صورة أشعة (جاما) .

وأحد الألغاز التي حيرت الفيزيائيين هو : مقدار القرائن الداخلة في بناء هذا الكون . فهل تعتبر الأرض نموذجا مصغرا لبقية الكون ؟ أي هل تزيد نسبة المادة في الكون كله عن نسبة قرائنها كما هو الحال في الأرض ؟

قد نستطيع الجزم بأن نسبة قرائن المادة في مجرتها نسبة ضئيلة وإلا تبددت أكثر المواد الموجودة بين النجوم ولسجلت مراصدنا كميات أكبر بكثير

من أشعة جاما . ولكن من يدرينا أن الأمر لا يختلف عن ذلك في المجرات الأخرى النائية ، والتي تقع في أطراف الكون النائية ، فربما وجدت مجرات بأكملها تسمى بقرائن المجرات وتتكون من قرائن النجوم .

وإذا سلمنا بوجود قرينٍ للمجرة ؛ وجدنا أنفسنا أمام سؤال آخر محير وهو : ما الذي يمنع المجرة وقرينها من الاقتراب من بعضها ومن ثم التبدد والزوال ؟ هل هو الفراغ الكوني الهائل والمسافات الشاسعة التي أوجدها العلي القدير لتفصل بين المجرات وقرائنها ؟ وهل تقدم لنا هذه النظرية تفسيرا جديدا لقوله العزيز الحكيم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر ٤١] .

فتبدد المجرات وقرائنها وزوالها بهذه الطريقة قد يتم في لحظات ويكون نتيجته كمية هائلة من الطاقة فتبدو السماء وكأنها وردة كالدهان قال تعالى : ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾ [الرحمن ٣٧] ونحن لا نستطيع تصور انشقاق السماء كيف ستنشق ؟ وأي جزء منها سيبدو منشقا ؟ ولكن إذا حدث وتبددت مجرتنا مع قرينتها فذلك يعني تبدد كل مستوى المجرة الذي نراه نحن من داخلها ؛ وكأنه يقسم الكون إلى قسمين ، فتبدو المساء منشقة ، وعندئذ تذهب النجوم وتنطمس ، فكل نجم يتبدد عندنا يقترب من قرين النجم قال تعالى : ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴾ [المرسلات ٨ ـ ٩] .

وإذا تبددت النجوم بهذه الطريقة وتحولت كتلتها إلى طاقة : فعندئذ تتلاشى تلك القوى التي تجذب الكواكب إلى النجوم في مساراتها فتتعثر الكواكب وتنتثر؛ قال تعالى : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾ [الانفطار ١ ـ ٢] .

ونتج عن ذلك اضطرا بات هائلة على كوكبنا الأرض ؛ قال تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ [التكوير ٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾ . . [سورة الإنفطار] .

إنها علامات الساعة التي أخبرنا الخالق البارئ بها ، وقد يقدم لنا موضوع فيزياء الجسيمات وقرائنها تفسيرا لها؛ فزوال المادة وقرينها أصبح حقيقة علمية تحدث يوميا في معجلات الجسيمات التي تحول الطاقة إلى مادة . وإذا عدنا إلى الآية الكريمة : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ [الذاريات ٤٩] .

لوجدنا أن إجابتنا ستكون بالإيجاب على سؤال وجود الجماد أو المادة في صورة زوجين؛ المادة وقرينها .

* فالخلاق الكريم لم يخلق الإنسان والحيوان والنبات فقط في صورة زوجين ؛ بل جعل من كل شيء زوجين حتى من الجماد والمادة ، وهذا هو تفسير الشمول التام الذي نراه في الآية : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

[الذريات . ٤٩] .

ومما يذكر أن الفيزيائي المسلم ـ محمد عبد السلام الباكستاني الجنسية الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء عام ١٩٧٩ والذي قام بأبحاث هامة في موضوع الجسيمات وقرائنها وكان له الفضل في وضع النظرية التي جمعت بين قوتين رئيسيتين من القوى الأربع المؤثرة في هذا الكون [وهما القوة الكهرومغناطيسية والقوة النووية الضعيفة] صرح بعد حصوله على الجائزة أن الآية القرآنية : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ كانت بمثابة إحساس خفي وإلهام قوي له وذلك أثناء أبحاثه على قرائن الجسيمات المادية . فقد فهم هذه الآية فهما شاملا يطوي بين كلماتها حقيقة وجود قرائن للمادة كحقيقة وجود أزواج أو قرائن في مملكة النبات والحيوان الإنسان .

** ** **

المشارق والمغارب

ظاهرة يومية عرفت منذ تكونت الشمس والأرض ، وهي ظاهرة الشروق والغروب . . جاءت في كتاب الله بصور وصيغ ثلاث قال تعالى : ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [المزمل ٩] .

وقال تعالى : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾ [المعارج ٤٠] . وقال تعالى : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ .

ففي الآية الأولى : جاء ذكر المشرق والمغرب في صيغة المفرد ،

وفي الثانية في صيغة المثنى .

وفي الثالثة في صيغة الجمع ، فما هو السبب في اختلاف الصيغ ؟ وأين كل هذه المشارق والمغارب ؟

لا يبدو وجود صعوبة في فهم صيغة المفرد ، فأينما كنا وحيثما وجدنا رأينا للشمس مشرقاً ومغرباً .

* أما المشرقان والمغربان : فقد فسرهما المفسرون بمشرقي ومغربي الشمس في الشتاء والصيف . فالأرض كما نعرف تتم دورتها حول الشمس في ٣٦٥ يوما وربع يوم ، كذلك نعلم أن ميل محور دورانها عن المحور الرأسي يسبب اختلاف الفصول ، ومن ثم اختلاف مكان ووقت الشروق والغروب على الأرض على مر السنة . فالواقع أن المشرق والمغرب على الأرض ـ أي مكان الشزوق والغروب ـ يتغيران كل يوم تغيراً طفيفاً ، أي أن الشمس تشرق

وتغرب كل يوم من مكان مختلف على مر السنة ، وهـذا بـدوره يعـني وجـود مشارق ومغارب تختلف بعدد أيام السنة ، وليس ذلك مشرقين ومغربين اثـنين فقط ، وإن بدا الاختلاف بين مشرقي الشمس ومغربيها أكثر وضوحاً في الشتاء والصـيف . فقـد يكـون مشـرقا الشـمس ومغرباهـا في الشـتاء والصـيف همـا المقصودان في الآية الكريمة : ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾.

كذلك قد تكون هذه المشارق والمغارب المتعددة التي نراها على مر السنة هي المقصودة في الآية الثالثة : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ ﴾ ،

وقد يكون المقصود بها أيضا مشارق الأرض ومغاربها في بقاعها المختلفة . فشروق الشمس وغروبها عملية مستمرة ففي كل لحظة تشرق الشمس على بقعة ما وتغرب عن بقعة أخرى .

وقد يكون المقصود بها مشارق الأرض ومغاربها على كواكب المجموعة الشمسية المختلفة ، فكل كوكب ـ مثله في ذلـك مثـل الأرض ـ تشـرق عليـه الشمس وتغرب .

كانت هذه تفسـيرات مختلفـة لمعـنى المشـارق والمغـارب والمشـرقين والمغربين .

بقى لنا أن نعرف السبب في ذكر المشرق والمغرب في صِيَغِهِ المختلفة ، والسبب يبدو أكثر وضوحاً إذا تلونا الآيات مع سوابقها وبتدبر وإمعان؛ فالآية الأولى تبدأ ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [المزمل ٨ ، ٩] وكما نلاحظ أن ذكر رب المشرق والمغرب هنا كان مقرونا باسم الجلالة ، فالله [سبحانه وتعالى] يأمر رسوله بأن يذكر اسم ربه وأن يتبتل إليه ، والتبتل هو : الاتجاه الكلي لله وحده ، بالعبادة والإخلاص فيها بالخشوع والذكر ، فليس للرحمن من شريك ولا ولد ، ويأتي ذلك مؤكدا في المقطع الثاني من الآية ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ ففي هذا

المقام الذي يؤكد الله فيه وحدانيته لعبده ويدعوه لعبادته وحده عبادة خالصة مخلصة؛ نجد أن صيغة المفرد هنا هي أنسب الصيغ وذكر المشرق والمغرب في صيغة المفرد يكمل جو الوحدانية الذي نعيش فيه مع هذه الآية الكريمة . .

أما في الآية الثانية : فالوضع يختلف ولنبدأ ببعض الآيات التي تسبق الآية الثانية قال تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن ١٤ - ٢٣] . الحديث في هذه الآيات كلها في صيغة المثنى يذكرنا فيها الرحمن بأنه هو الذي خلق الإنس والجان ، وأنه هو رب المشرقين والمغربين وأنه هو الذي مرج البحرين ليلتقيا ، ولكن دون أن يبغي أحدهما على الآخر ومنهما يخرج اللؤلؤ والمرجان ، فصيغة المثنى هي الغالبة في هذه الآيات وكذلك فقد يبدو من الأنسب أن يذكر المشرقين والمغربين أيضا في صيغة المثنى .

وبالمثل في الآية الثالثة فإذا كتبناها مع سوابقها ولواحقها من الآيات الكريمة عرفنا سبب ذكر المشرق والمغرب في صيغة الجمع قال تعالى : ﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ [المعارج ٣٦ - ٤١] . فالحديث هنا كما يلاحظ القارئ مُنْصَبٌّ على الذين كفروا ولذلك ذكرت المشارق والمغارب على نفس النمط في صيغة الجمع أيضا حتى يتأتى التوافق في الصيغ الذي وجدناه في الآيتين السابقتين .

ومن ناحية أخرى يدعونا العلي القدير للتعمق والتفكير في معاني الصيغ

المختلفة فقد يكون المقصود بالمشارق والمغارب هنا على كفار جدد في أماكن جديدة ، وكأن العلي القدير يخاطبهم ويقول ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾ هذه التي عرفتموها ورأيتموها في كل مكان وزمان على الأرض إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منكم وما نحن بمغلوبين . . لا شك في أن التوافق الذي رأيناه في صيغ الآيات الثلاث السابقة هو مثل حي من بلاغة الأسلوب القرآني ، وجمال تعبيره ، ودقة معانية .

وإلى جانب ذلك نجد أن ذكر المشرق والمغرب مرة في صيغة المفرد ومرة في صيغة المثنى ومرة في صيغة الجمع يعطي باعثا للبحث والتفكير وحافزا للتعمق والتأمل . فالمعاني والكلمات والتعبيرات [بل والصيغ] لا تأتي منقادة بهذه السهولة واليسر إلا للعزيز الحكيم .

وإذا تعمقنا مرة أخرى في معنى (رب المشارق والمغارب) لوجدنا في هذا التعبير أيضا هذه الزاوية الجديدة التي لا عهد للإنسان بها فشروق الشمس وغروبها في كل لحظة على بلد جديد وعلى بقعة مختلفة من بقاع الأرض هو أبعد ما يكون عن التصور الإنساني .

** ** **

المنجم العجيب

قال تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يس ٣٦] . . قال رسول الله [ﷺ] : « **إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب** »

رواه الإمام أحمد . انظر : موسوعة الأديان (١٢) .

هذا صحيح ، وقد وجد بالتحليل أن جسم الإنسان يتكون من نفس مركبات الأرض وهي : ماء ـ سكريات ـ بروتينات ـ دسم ـ فيتامينات ـ هرمونات ـ كلور ـ كبريت ـ فوسفور ـ مغنسيوم ـ كلس ـ بوتاسيوم ـ صوديوم ـ حديد ـ نحاس ـ يود ـ ومعادن أخرى . . وهذه المعادن تتركب مع بعضها لتكوّن العظام والعضلات وعدسة العين وشعرة الرأس والضرس والدم والغدد اللعابية . . وأشياء أخرى في جسمك . . وهذه المواد تتركب مع بعضها بنسب ثابتة ودقيقة جدا في جسم الإنسان ، يعلم سر تكوينها وتركيبها رب العالمين . . وقد وجد بالتحليل في المختبرات أنه لو أخذت المعادن التي في جسم الإنسان وركبت لخرجنا بالمكونات التالية : علبة طباشير ـ علبة كبريت ـ مسمار صغير ـ حفنة من الملح ـ مواد أخرى لا قيمة لها . . وهذه كلها لا تساوي قيمتها عشرة ريالات . . هل يعقل : أن الإنسان كله لا يساوي أكثر من ذلك ؟ إذن ثوبك أو ساعتك أكثر قيمة منك أليس كذلك . . ؟ ما هي قيمة الإنسان الفعلية . . . ؟ إن قيمة المعادن الموجودة في الإنسان وهي متفرقة لا تساوي شيئاً ، إذن :

العبرة بالشيء بعد تركيبه ومعرفة فائدته . . ولكننا لم ننته بعد . فمقارنة الإنسان بالآلات خطأ كبير ، ولا يقارن الشيء إلا بمثله ، وإلا لأصبح الخروف والجمل أكثر فائدة من الإنسان ، وعلى هذا نقول : إن الإنسان له مكانة عالية فوق مقاساتنا المادية ، والدليل على ذلك قول الله [سبحانه وتعالى] : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ وقال تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف ١١ ، ١٢] .

فكما نرى أن الله [سبحانه وتعالى] قد كرم هذا الإنسان وأسجد له الملائكة لذلك يجب علينا أن نحترم الإنسان . . لماذا ؟ لأن الله أكرمه . . لا نحقره ولا نخذله . . لماذا ؟ لأن الله أسجد له ملائكته .

** ** **

الناصية

يقول الشيخ عبد المجيد الزنداني : كنت أقرأ قول الله [تعالى] : ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ [العلق ١٥] .

* والناصية : هي مقدمة الرأس ، فكنت أسأل نفسي وأقول يارب اكشف لي هذا المعنى ! لماذا قلت ناصية كاذبة خاطئة ؟ وتفكرت فيها أكثر من عشر سنوات وأنا في هذه الحيرة فأرجع إلى كتب التفسير فأجد الجواب . . أجد المفسرين يقولون : المراد ليست ناصية كاذبة ، وإنما المراد : معنى مجازي وليس حقيقيا فهو من باب المجاز لا من باب الحقيقة ، ناصية كاذب خاطئ ، ولما كانت الناصية هي مقدمة الرأس فأطلق عليها صفة الكذب ، والمقصود : صاحبها ،

* هكذا يقولون ، وليست هي مكان الكذب أو مصدر الكذب ؛ إلى ان يسر الله البحث الذي كان عن الناصية ، حيث قدم أحد العلماء وهو كندي الأصل ومن أشهرهم في علم المخ والتشريح والأجنة وكان ذلك في المؤتمر الطبي الذي عقد في القاهرة وتواجد في ذلك المؤتمر طبيب ومعه زوجته ؛ فلما سمعت زوجته هذا الكلام ناصية كاذبة قالت : والهاء أين راحت ؟ فالمفسرون يقولون : المعنى ناصية كاذب خاطئ قالت : والهاء أين راحت ؟ قلت في نفسي هذه الهاء هي التي دوختني عشر سنوات ، الله [سبحانه وتعالى] يقول لنا ﴿ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ .

نعود لبحث العالم الكندي وتكلم فيه منذ خمسين سنة فقط ، حيث أكد لنا أن المخ الذي تحت الجبهة مباشرة الذي في الناصية هو الجزء المسئول عن الكذب والخطأ ، وهو المكان الذي يصدر منه الكذب ويصدر منه الخطأ ،

وأن العين ترى بها والأذن تسمع منها فكذلك كان هذا المكان الذي يصدر منه القرار ، هذا مصدر اتخاذ القرار ، فلو قطع هذا الجزء من المخ الذي يقع تحت العظمة مباشرة فإن صاحبه في الغالب لا تكون له إرادة مستقلة ، لا يستطيع أن يختار ، اجلس . . اجلس . . قم . . . قم . . امش . . يفقد سيطرته على نفسه مثل واحد تقلع له عينيه فإنه لا يرى ، فقال : منذ خمسين سنة فقط عرفنا أن هذا الجزء هو المسؤول عن هذا المكان الذي يصدر منه القرار . . . فمن يتخذ القرار ؟

نحن نعلم أن الروح هي صاحبة القرار ، وأن الروح هي التي ترى ولكن العين هي الجارحة ، والروح تسمع ، ولكن الأذن جارحة ، كذلك المخ ، هذا جارحة لكن في النهاية هذا مكان صدور القرار . . . ناصية كاذبة خاطئة ولذلك قال الله : ﴿ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ أي نأخذه أو نحرقه ، فسبحان الله ، كلمة جاءت في كتاب الله . . . وهاء الحرف يعرف الناس سره بعد أن يتقدم العلم أشواطاً وأشواطاً ، ثم وجدوا أن هذا الجزء من الناصية في الحيوانات ضعيف صغير لأن الحيوان مركز قيادته وحركة جسمه أيضاً من هذا المكان ، وإلى هذا يشير المولى سبحانه وتعالى : ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾ [هود ٥٦] مركز القيادة . . موجود في الناصية . . من يعلم هذا ؟ متى عرف العلماء هذا ؟ متى عرفوه ؟ عندما شرحوا مخ الحيوانات . .

* إن القرآن يذكر هذه الحقيقة وجاء بعلم الله الذي أحاط بكل شيء علماً ، وفي الحديث الشريف قال رسول الله [ﷺ] : « اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك . . . » الحديث : في مسند الإمام أحمد. انظر : الطب النبوي (١٥٤) ـ لابن قيم الجوزية ـ .

* والناصية : مركز القيادة ، ولحكمة شرع الله أن تسجد هذه الناصية وأن تطأطئ لله ، ولعل هناك علاقة بين ناصية تسجد خاشعة وبين سلوك يستقيم ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت ٤٥] .

النجم الثاقب

يقسم الخالق بأحداث كونية عظيمة يقول سبحانه [عز من قائل] : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾ [الطارق ١ ـ ٣] . ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ [النجم ١ ـ ٣] .
يقسم بالسماء والطارق ، ومن يستمع إلى هذا القسم لن يعرف لأول وهلة من هو ؟ أو ما هو المقصود بالطارق ؟ ولذلك عرفنا العليّ القدير بأنه نجم ثاقب .
فكيف يكون النجم طارقاً وثاقباً ؟ وهل هناك تفسير علمي لذلك ؟

* لقد درج المفسرون على تفسير أشعة النجم بأنها ثاقبة نافذة ، أما صفة الطرق فقلما تعرض لها أحد .

* والقسم الثاني : يخص بظاهرة فلكية أخرى وهي ظاهرة النجم الهوي .
وهنا لا بد أن نفرق بين هذه الظاهرة وظاهرة الشهاب Meteor الساقط التي تعد ظاهرة يومية لكثرة حدوثها .

* * فالشهب : تدخل يوميا في الغلاف الجوي ، ثم تحترق عندما ترتفع درجة حرارتها لاحتكاكها بالهواء الجوي ، وبعضها يسقط على الأرض . ولو أراد الخالق أن يقسم بها لأقسم إلا أنه جاء ذكر الشهب في أكثر من مكان في القرآن ﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [الحجر ١٨] .

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾ [الجن ٨] .

فلم يقسم سبحانه بظاهرة الشهاب الساقط وأقسم بظاهرة النجم الهاوي لماذا ؟ ؟ . النجوم النيوترونية تزداد كتلتها عن كتلة الشمس بما يقارب ٤ ، ١ .
بداية عندما يبدأ النجم بالانهيار على نفسه ينكمش بسرعة ويزيد الضغط

على ذرات موادّه فتتحطم الذرات ويتكون المائع الألكتروني ، ويزداد سمكه فيبقى عاجزاً عن تحمل الضغط الناتج من ثقل النجم وجاذبيته ، وتكون النتيجة أن تسحق جاذبية النجم « المائع الألكتروني » كما سحقت من قبل قشرة الذرة ، ويستمر انهيار العملاق الأحمر على نفسه . . فتلتصق الألكترونات بالبروتونات ثم تتحد معها مكونة نيوترونات جديدة ، وتبدأ طبقات النجم وهي تنهار في التطلع إلى منقذ ينقذها من براثن هذا الوحش المسمى (بقوة ثقل النجم) والذي يسحق كل ما يجده أمامه ، وفي النهاية : تتحد كل الألكترونات بالبروتونات فيصبح النجم عبارة عن نيوترونات منضغطة على بعضها دون وجود أي فراغ ؛ فتصل كثافة النجم إلى رقم قياسي يصعب تصوره ويتقلص العملاق الأحمر إلى ما يسمى (بالنجم النيوتروني Pulsars) فـكرة من المادة النيوترونية في حجم كرة القدم يبلغ وزنها خمسين ألف بليون من الأطنان ، فإذا وضعت هذه الكرة على الأرض أو على أي جرم سماوي آخر فلن يتحمل سطحه هذا الوزن الهائل فتسقط الكرة خلال الأرض أو خلال الجرم السماوي تاركا وراءه ثقبا يتناسب مع حجمه .

وقصة اكتشاف النجم النيوتروني قصة طريفة ؛ ففي سنة ١٩٦٨ التقطت طالبة أمريكية إشارات لاسلكية من خارج الأرض بواسطة جهاز جديد يسمى بالتلسكوب اللاسلكي أو المذياعي (Radio telescope) وهو جهاز يلتقط الإشارات اللاسلكية من أعماق السماء ومن مسافات تقدر بملايين السنين ، فقد تمكن الفلكيون في أوائل السبعينات من رصد عدة نجوم كلها تشترك في خاصية إرسال إشارات لاسلكية منتظمة وعلى درجة كبيرة من الدقة ، فالإشارات تصل على صورة متقطعة : بيب . . . بيب . . . بيب وتستمر كل إشارة منها كسورا من الثانية وتتكرر كل ثانية أو أكثر ومن ذلك الحين أطلق على النجوم التي تصدر هذه الإشارات اسم (النجوم النابضة) ، (النجم الطارق الثاقب) فهو آية من آيات الله العظيمة ، يقسم سبحانه بها ﴿ وَٱلسَّمَآءِ

وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾ .

فالطارق : هو جرم سماوي له صفتان أخريان وهما : النجم والثاقب ، ولو قارنا بين تلك الخواص وأي جرم سماوي لوجدنا أن النجم النيوتروني يستوفي هذه الخواص ، فهو نجم و طارق و ثاقب . . له نبضات وطرقات منتظمة ، فالطارق يصدر طرقات منتظمة متقطعة تك . . تك . . تك تشابه تماماً تلك البيبات التي نقلها لنا اللاسلكي والتي كان مصدرها النجم النيوتروني ، وقد توصل العلماء إلى أن النجم النيوتروني عقب مولده له نبضات سريعة لسرعة دورانه ، وسرعة طاقته ، وإن النجم النيوتروني العجوز له إشارات بطيئة على فترات أطول ؛ وذلك عندما تقل طاقته وتنقص سرعة دورانه ، فسبحان الله العظيم حين خص هذا النجم بالثاقب وأقسم به ، فمن عظمة القسم ندرك عظمة المقسوم به . فكثافة النجم الثاقب النيوتروني أعلى كثافة معروفة للمادة ، ووزنه يزيد عن وزن الكرة الأرضية برغم صغير حجمه ، فهو ثاقب .

* والآن فلنتصور ماذا يحدث للأرض أو لأي جرم سماوي آخر إذا وضع هذا النجم عليه أو اصطدم به ؟

فلن تصمد أمامه أي الأجرام كانت ولا حتى الشمس ، والسبب : انه ذو كثافة مهولة . . وقد قدر عدد النجوم النيوترونية في مجرتنا بمائة ألف نجم ومن الطبيعي أن تحتوي بلايين المجرات الأخرى على مئات الآلاف من النجوم النيوترونية الطارقة الثاقبة ، فالسماء إذن : تمتلئ بها ، ومن هنا جاء القسم ليؤكد سبحانه بهذا القسم ﴿ إِن كُلُّ نَفۡسٍ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٌ ﴾ [سورة الطارق ٤] . فكل نفس موكل أمرها لحافظ يراقبها ويحصي عليها ويحفظ عنها . . فسبحان الله ، فإن هناك أوجه التشابه بين الحافظ وبين الطارق ، نجد صورة حية جديدة من الإعجاز القرآني . فوصف النجم النيوتروني الذي لم يكتشف إلا حديثا بهذه الدقة بكلمات قليلة تعد على الأصابع [اليد الواحدة] انه نجم طارق ثاقب ، لا يمكن ان تصدر إلا من خالق هذا الكون ، فلو حاول الإنسان مهما بلغ علمه

وإدراكه وصف [أو حتى تعريف] ظاهرة النجم النيوتروني لاحتاج لأسطر وصفحات لتعريف هذا المخلوق . .

وبعد أن يخبرنا المولى [سبحانه] عن هذا النجم ويقسم به؛ يعود بنا إلى النفس البشرية ويذكرنا بالحافظ الذي وكله الحفيظ الرقيب على كل نفس يحصي مالها وما عليها ، حتى نبضها؛ فالتشابه بين الحافظ الذي يحصى كل صغيرة وكبيرة في دقة متناهية وبين الطارق الذي تطوى دقاته أقطار السماء لتصل إلينا في دقة متناهية ،

والتشابه بين الحافظ الرقيب الذي لا تخفى عليه خافية من خبايا النفس البشرية ولا سر من أسرارها ،

وبين الثاقب الذي لا تستطيع أي مادة أو أي نجمة مهما بلغ حجمها ، والسماء وطارقها إنما هو بتصرف وتحت قدرة الواحد القهار ، الذي لا تخفى عليه خافية والذي يحيط علمه بكل صغيرة وكبيرة . . . فسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

** ** **

النهار ينسلخ من الليل

لقد كشف العلم الحديث أن الليل يحيط بالأرض من كل مكان ، وأن الجزء الذي تتكون فيه حالة النهار هو الهواء الذي يحيط بالأرض ، ويمثل قشرة رقيقة تشبه الجلد ، وإذا دارت الأرض سلخت حالة النهار الرقيقة التي كانت متكونة بسبب انعكاسات الأشعة القادمة من الشمس على الجزيئات الموجودة في الهواء مما يسبب النهار ، فيحدث بهذا الدوران سلخ النهار من الليل والله يقول : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾ [يس ٣٧] .

* إن القرآن الكريم لم يأت بالدلائل التي تؤكد لنا أن الأرض كروية في آية واحدة . . . بل جاء بها في آيات متعددة . . لماذا ؟ . . لأن هذه القضية كونية كبرى . . ولأن الكتب القديمة التي أنزلها الله قبل القرآن الكريم قد حُرِّفَتْ بشرياً . . فأوجدت تصادماً بين الدين والعلم . . ولذلك يأتي القرآن الكريم ليعطينا الدليل تلو الدليل على كروية الأرض : يقول الله [سبحانه وتعالى] : ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس ٤٠] .

الله [سبحانه وتعالى] في هذه الآية الكريمة يرد على اعتقاد غير صحيح كان موجوداً عند العرب وقت نزول القرآن . . ويجيء الحق ليصحح هذا الاعتقاد الخاطئ فيقول : ﴿ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ﴾ أي أنكم تعتقدون أن النهار لا يسبق الليل . . ولكن الله يقول لكم : إن الليل أيضا لا يسبق النهار . . ومعنى أن النهار لا يسبق الليل وأن الليل لا يسبق النهار : أنهما موجودان معاً على

سطح الكرة الأرضية . . وحيث أنه لم يحدث تغيير في خلق الكون أو في القوانين الكونية العليا بعد أن تم الخلق ؛ فهذا دليل التقدير البديع . . بل بقيت ثابتة تسير على نظام دقيق حتى قيام الساعة . . فلو كانت الأرض على شكل هندسي آخر مربع أو مثلث أو غير ذلك . . لكان في ساعة الخلق وجد النهار أولاً . . ولكن لا يمكن أن يوجد الليل والنهار معاً في وقت واحد على سطح الكرة الأرضية . . إلا إذا كانت الأرض كروية . . فيكون نصف الكرة مضيئاً والنصف الآخر مظلماً . ولكن الله [سبحانه وتعالى] أراد أن يؤكد هذا المعنى . . فذكر آية أخرى تحدد معنى كروية الأرض ودورانها فقال [جل جلاله] : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان ٦٢] .

ما معنى خلفةً ؟ . . . معناها : أن الليل والنهار يخلف كل منهما الآخر . . فمثلاً في الحراسات المستمرة . . تأتي نوبة حراسة لتخلف نوبة سبقتها ثم تأتي النوبة الثالثة لتخلف الثانية وهكذا . . وإذا فرضنا أن مصنعاً يعمل أربعاً وعشرين ساعة متوالية . . فإنه يكون هناك أربع ورديات تخلف كل منهما الأخرى . . ولكننا لا بد أن ننتبه إلى أنه في كل هذه النظم . . لا بد أن تكون هناك وردية هي التي بدأت ولم تخلف أحداً . . فإذا قررنا وضع الحراسة على مكان فإن الوردية الأولى التي تبدأ الحراسة لا تخلف أحداً لأنها البداية . وإذا بدأنا العمل في المصنع فإن الوردية الأولى التي افتتحت العمل لم تخلف أحداً لأنه لم يكن هناك في المصنع عمل قبلها . . وهكذا في كل شيء في الدنيا . . يخلف بعضه بعضاً . . تكون البداية دائماً وليس هناك شيء قبلها تخلفه . . ولكن الحق [سبحانه وتعالى] قال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾ ومادام الله هو الذي جعل فلا بد أن يكون ذلك قد حدث ساعة الخلق . . فأوجد الليل والنهار خِلْفَةً على الأرض ولكننا كما أوضحنا . . فإن ساعة البداية في كل شيء لا يكون فيها خِلْفَةٌ . . أي لا يخلف شيء شيئاً قبله . . فهذه هي البدايات . .

ولكن الله يقول لنا : إنه في ساعة البداية كان الليل والنهار خِلْفَةً . . إذن فلا بد أن يكون الليل والنهار قد وجدا معاً ساعة الخلق في الأرض . . بحيث أصبح كل منهما خلفةً للآخر . . فلم يأت النهار أولاً ثم خَلَفَهُ الليل . . لأنه في هذه الحالة لا يكون النهار خِلْفَةً بل يكون بداية . . ولم يأت الليل أولاً ثم يخلفه النهار لأنه في هذه الحالة لن يكون الليل خِلْفَةً بل يكون بداية ، ولا يمكن أن يكون الليل والنهار كل منهما خِلْفَةً للآخر إلا إذا وجدا معاً .

ونحن نعلم أن الليل والنهار يتعاقبان علينا في أي بقعة من بقاع الأرض . . فلا توجد بقعة هي نهار دائم بلا ليل . . ولا توجد بقعة هي ليل دائم بلا نهار . . بل كل بقاع الأرض فيها ليل وفيها نهار . . ولو أن الأرض ثابتة لا تدور حول نفسها . . ووجد الليل والنهار معاً ساعة الخلق فلن يكونا خِلْفَةً ولن يخلف أحدهما الآخر . . بل يظل الوضع ثابتاً كما حدث ساعة الخلق . . وبذلك لا يكون النهار خِلْفَةً لليل ولا الليل خلفة للنهار . . ولكن لكي يأتي الليل والنهار يخلف كل منهما الآخر . . فلا بد أن يكون هناك دوران للأرض لتحدث حركة تعاقب الليل والنهار . . فثبوت الأرض منذ بداية الخلق لا يجعل الليل والنهار يتعاقبان . . ولكن حركة دوران الأرض حول نفسها هي التي ينتج عنها هذا التعاقب أو هذه الخلفة التي أخبرنا الله [سبحانه وتعالى] بها .

إذن : فقول الحق [سبحانه وتعالى] : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾ يحمل معنيين :

* * **المعنى الأول** : أنهما خلقا معاً . . فلم يسبق أحدهما الآخر . . وهذا إخبار لنا من الله [سبحانه وتعالى] بأن الأرض كروية . .

* * **والمعنى الثاني** : أن الأرض تدور حول نفسها . . وبذلك يتعاقب الليل والنهار .

** ** **

الوضوء وقاية من الأمراض الجلدية

قال ﷺ : « **من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره** » رواه مسلم . وقال : « **إن أمتي يدعون يوم القيامة غرًّا محجّلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل** » متفق عليه .

* أثبت العلم الحديث بعد الفحص الميكروسكوبي للمزرعة الميكروبية التي عُمِلَتْ للمنتظمين في الوضوء . . ولغير المنتظمين : أن الذين يتوضؤون باستمرار . . قد ظهر الأنف عند غالبيتهم نظيفا طاهرا خاليا من الميكروبات ولذلك جاءت المزارع الميكروبية التي أجريت لهم خالية تماما من أي نوع من الميكروبات ، في حين أعطت أنوف من لا يتوضؤون مزارع ميكروبية ذات أنواع متعددة وبكميات كبيرة من الميكروبات الكروية العنقودية الشديدة العدوى . . والكروية السبحية السريعة الانتشار . . والميكروبات العضوية التي تسبب العديد من الأمراض .

وقد ثبت أن التسمم الذاتي يحدث من جراء نمو الميكروبات الضارة في تجويفي الأنف ، ومنهما إلى داخل المعدة والأمعاء ، ولإحداث الالتهابات والأمراض المتعددة ولا سيما عندما تدخل الدورة الدموية . . لذلك شرع الاستنشاق بصورة متكررة ثلاث مرات في كل وضوء .

أما بالنسبة للمضمضة : فقد ثبت أنها تحفظ الفم والبلعوم من الالتهابات ومن تقيح اللثة ، وتقي الأسنان من النخر بإزالة الفضلات الطعامية التي قد تبقى فيها ، فقد ثبت علمياً أن تسعين في المئة من الذين يفقدون أسنانهم لو اهتموا بنظافة الفم لما فقدوا أسنانهم قبل الأوان ، وأن المادة الصديدية

والعفونة مع اللعاب والطعام تمتصها المعدة وتسرى إلى الدم . . ومنه إلى جميع الأعضاء وتسبب أمراضاً كثيرة ، وأن المضمضة تنمى بعض العضلات في الوجه وتجعله مستديراً . . وهذا التمرين لم يذكره من أساتذة الرياضة إلا القليل لانصرافهم إلى العضلات الكبيرة في الجسم .

ولغسل الوجه واليدين إلى المرفقين : والقدمين فائدة إزالة الغبار وما يحتوى عليه من الجراثيم ، فضلاً عن تنظيف البشرة من المواد الدهنية التي تفرزها الغدد الجلدية ، بالإضافة إلى إزالة العرق .

وقد ثبت علميا أن الميكروبات لا تهاجم جلد الإنسان إلا إذا أهمل نظافته ، . . فإن الإنسان إذا مكث فترة طويلة دون غسل لأعضائه فإن إفرازات الجلد المختلفة [من دهون وعرق] تتراكم على سطح الجلد محدثه حكة شديدة وهذه الحكة بالأظافر ، والتي غالبا ما تكون غير نظيفة ، فتدخل الميكروبات إلى الجلد .

كذلك فإن الإفرازات المتراكمة هي دعوة للبكتريا كي تتكاثر وتنمو ، لهذا فإن الوضوء بأركانه قد سبق علم البكتريولوجيا الحديثة والعلماء الذين استعانوا بالمجهر على اكتشاف البكتريا والفطريات التي تهاجم الجلد الذي لا يعتني صاحبه بنظافته ، والتي تتمثل في الوضوء والغسل . ومع استمرار الفحوص والدراسات ؛ أعطت التجارب حقائق علمية أخرى . . فقد أثبت البحث أن جلد اليدين يحمل العديد من الميكروبات التي قد تنتقل إلى الفم أو الأنف عند عدم غسلهما . . ولذلك يجب غسل اليدين جيدا عند البدء في الوضوء . . وهذا يفسر لنا قول الرسول [ﷺ] « إذا استيقظ أحدكم من نومه . . فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً » . الحديث كما في موطأ مالك (١/ ٢١) ـ باب (٢٠) وضوء النائم إذا قام إلى الصلاة . « إذا استيقظ أحدكم من نومه فليغسل يده قبل أن يدخلها في وضوئه فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده » .

وقد أخرجه البخاري ـ في كتاب الوضوء ، ومسلم في الطهارة ـ حديث (٨٧ ، ٨٨) .

* كما قد ثبت أيضا أن الدورة الدموية في الأطراف العلوية من اليدين والساعدين والأطراف السفلية من القدمين والساقين أضعف منها في الأعضاء الأخرى لبعدها عن المركز الذي هو القلب ، فإن غسلها مع دلكها يقوي الدورة الدموية لهذه الأعضاء من الجسم مما يزيد في نشاط الشخص وفعاليته .

* * ومن ذلك كله يتجلى الإعجاز العلمي في شرعية الوضوء في الإسلام

وقد توصل العلماء إلى أن سقوط أشعة الضوء على الماء أثناء الوضوء يؤدي إلى انطلاق أيونات سالبة ويقلل الايونات الموجبة مما يؤدي إلى استرخاء الأعصاب والعضلات ويتخلص الجسم من ارتفاع ضغط الدم والآلام العضلية وحالات القلق والأرق . . ويؤكد ذلك أحد العلماء الأمريكيين في قوله : إن للماء قوة سحرية ، بل إن رذاذ الماء على الوجه واليدين ـ يقصد الوضوء ـ هو أفضل وسيلة للاسترخاء وإزلة التوتر . . . فسبحان الله العظيم .

** ** **

الوقاية

قال ﷺ : « غطوا الإناء وأوكئوا السقاء ، فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء ، لا يمر بإناء ليس عليه غطاء ، أو سقاء ليس عليه وكاء ، إلا نزل فيه من ذلك الوباء » رواه مسلم .

[أوكيت السقاء : شددت فمه بالوكاء ، والوكاء : حبل يُشد به رأس القربة] .

* لقد أثبت الطب الحديث أن النبي [ﷺ] هو الواضع الأول لقواعد حفظ الصحة بالاحتراز من عدوى الأوبئة والأمراض المعدية ، فقد تبين أن الأمراض المعدية تسرى في مواسم معينة من السنة ، بل إن بعضها يظهر كل عدد معين من السنوات ، وحسب نظام دقيق لا يعرف تعليله حتى الآن . .

* من أمثلة ذلك : أن الحصبة ، وشلل الأطفال ، تكثر في سبتمبر وأكتوبر ، والتيفوئيد يكثر في الصيف ، أما الكوليرا فإنها تأخذ دورة كل سبع سنوات . . والجدري كل ثلاث سنين .

وهذا يفسر لنا الإعجاز العلمي في قول الرسول [ﷺ] : « إن في السنة ليلة ينزل فيها وباء » . . أي أوبئة موسمية ولها أوقات معينة . كما أنه [ﷺ] قد أشار إلى أهم الطرق للوقاية من الأمراض في حديثه : « اتقوا الذر (هو الغبار) فإن فيه النسمة (أي الميكروبات) » .

فمن الحقائق العلمية التي لم تكن معروفة إلا بعد اكتشاف الميكروسكوب : أن بعض الأمراض المعدية تنتقل بالرذاذ عن طريق الجو المحمل بالغبار ، والمشار إليه في الحديث بالذر . . وأن الميكروب يتعلق بذرات الغبار عندما تحملها الريح وتصل بذلك من المريض إلى السليم . .

وهذه التسمية للميكروب بالنسمة هي أصح تسمية ، فقد بين ـ الفيروز ابادي ـ في قاموسه أن النسمة تطلق على أصغر حيوان ، ولا يخفى أن الميكروب متصف بالحركة والحياة . . أما تسمية الميكروب بالجرثوم فتسمية لا تنطبق على المسمى ؛ لأن جرثومة كل شيء أصله حتى ذرة الخشب ، وهذا من المعجزات الطبية التي جاء بها رسول الله [ﷺ] .

** ** **

اليخضور

اليخضور الكلوروفيل : المصنع الوحيد على وجه الأرض ، والذي يصنع فيه الطعام ، فهو عبارة عن مجسمات خضراء تحول الطاقة الشمسية وثاني أكسيد الكربون والماء إلى طعام للإنسان وللحيوان ، وهذا يطلق عليه اليخضور أـ : أما ذو التركيبة بـ : فهو يشكل من ذراته وبالطاقة المنشطة يقوم بالطاقة التي تأتي من الشمس ، ثم يقوم بالعملية الكيميائية المعقدة التي تنتهي بالسكر ثم النشا .

يعمل هذا اليخضور بأخذ جزيئات الماء وأخذ الأكسجين والصعود به إلى أعلى ، ويبقى بعد ذلك أربع ذرات من الهيدروجين ثم ثاني أكسيد الكربون وكيف يشطر ثاني أكسيد الكربون أيضا ؟ فجزء يذهب إلى ذرتي هيدروجين فيتكون الماء ، وهذا يمزج عن طريق النّتح ، والباقي يتحد مع إحدى ذرتى الهيدروجين الأخرى ليكون الأساس الذي تتكون منه السكريات ، وبعد ذلك تتكون المواد النشوية . وهذه هي المعادلات التي تجري في النبات وتشاهدونها تنتهي بثاني أكسيد الكربون وطاقة وأكسجين وتنتهي باكسجين وماء وجلوكوز وسكر .

* الجلوكوز هذا يتحول إلى نشا ويختزن ويتحول إلى دهون ، وتضاف إليه ذرة نيتروجين فتتكون البروتينات ،

* فالأساس في هذه العملية [كما رأينا] هو هذا المصنع الأخضر الذي تتكون منه سائر الحبوب والفواكه ، وهكذا تخرج هذه الحبوب المتراكبة من هذا المصنع الذي يوجد في داخل كل ورقة ، هذا المصنع من هذا الزرع فمن

أنبت الزرع ؟ ومن أطلق أجهزته ؟ إنه الله [سبحانه وتعالى] . . قال في محكم كتابة العزيز : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا ﴾

[الأنعام ٩٩] .

أي من النبات نخرج منه أي من هذا الشيء الأخضر ﴿ نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴾ أي من هذا النبات كل شيء أخضر يُخرج منه [أي من هذا الخضر] حباً متراكباً ، ما كانوا يعلمون عن اليخضور . . عن الكلوروفيل هذا ، ولا يعرفون دوره ، ولكنها الألفاظ القرآنية تحدد لهم وتبين لهم الطريق ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّـٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ ﴾ جناتٍ منصوبة[1] لماذا ؟ لنخرج أيضا جنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه . . كله يخرج أيضا من هذا اليخضور ، فمن أخبر محمداً [ﷺ] الأمي أن يخصص ويبين هذا الشيء الأخضر وبأنه يخرج منه النبات ؟

هناك نبات ومن هذا النبات شيء أخضر ؛ منه تخرج حبوب وتخرج الثمار وتخرج الفواكه ، و سائر أجزاء النبات من يبين له ذلك ؟ من يحدد هذه الوظيفة لهذه المادة الخضراء ؟ إلا مَنْ هو على علم بما فيها وعلى معرفة بما فيها ، هذا علم لا يكون إلا من عند الله [سبحانه وتعالى] .

** ** **

---

(١) جناتٍ : جاءت منصوبةً ، عطفاً على كلمة (نباتَ) ، وعلامة النصب هنا الكسرة لأنها جمع مؤنث سالم ، هذا في القراءات السبع ، وورد في غير تلك القراءات بالرفع ؛ عطف على قنوانٌ ـ المرفوعة ـ . انظر : التسهيل (١٧/٢).

تحديد النسل

قال رسول الله [ﷺ] : « **تزوجوا الودود الولود** » رواه أبو داود والنسائي .

* هذا الحديث يدعو بصورة غير مباشرة إلى عدم تحديد النسل أو ما شابه ذلك .

ثبت علميا أن استخدام أي نوع من وسائل تحديد النسل يعود بآثار وخيمة على الحالة الصحية للأم . . فالجهاز التناسلي للمرأة يهيمن على وظيفة مجموعة من هرمونات التناسل تفرز من الفص الأمامي للغدة النخامية والمبيض . . وفي الحالة الطبيعية تفرز هذه الهرمونات بنسب مقدرة ومعينة ، بحيث إذا حدث فيها أي زيادة أو نقص أدى ذلك إلى حدوث حالة مرضية . . ومن هنا تعترف الأوساط الطبية بأن الوسائل المستخدمة لمنع الحمل لها أضرارعلى من يتعاطونها ، وذلك نتيجة أبحاث كثيرة خرجت بهذه النتائج :

* اختلال في التوازن الهرموني بالجسم . .
* زيادة وزن الجسم وتجمع كميات كبيرة من السوائل به . .
* حدوث التهابات شديدة بالجهاز التناسلي للأم . .
* زيادة احتمالات التعرض للنوبات القلبية المميتة لمن تجاوزن الثلاثين من العمر ؛ ولا سيما من تخطين الأربعين . .

وقد نقلت وكالات الأنباء خبر موت إحدى السيدات البريطانيات نتيجة تعاطيها لحبوب منع الحمل ، فقد ظلت تتناول حبوب (فالدان) طيلة ثماني سنوات ، ثم استبدلت بها صنفا آخر هو (ميثو كلور) وذلك بتوصية طبية ، ومرضت بعد أسابيع مرضا شديدا مما اضطرها لملازمة الفراش ، ثم انهارت صحتها وتوفيت بعد ذلك . .

ثبت أخيرا أن استعمال موانع الحمل [ولا سيما الحبوب] قد يؤدي إلى

حدوث بعض الحالات السرطانية . . ولكن الذي نهى عنه [الرسول ﷺ] هو إرضاع الطفل إذا حملت أمه . . لأن ذلك يؤثر على الرضيع تأثيرا سيئا ، مما يجعله ضعيف البنية . . ولو تأملنا هذا الهدى النبوي لوجدنا المسافة بين الحمل والآخر تستغرق ثلاث سنوات . . ولا سيما إذا رجعنا لقوله تعالى :
﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة ٢٣٣]

ومن ذلك نجد أن تنظيم النسل وإعطاء الفرصة للأم لاستعادة صحتها ، أمر يدعو إليه الدين ، وهذا بخلاف منع الحمل بصورة مطلقة . . الغريب أن معظم البلدان الإسلامية تكتسحها دعوة تحديد النسل بحجة مواجهة التحديات الاقتصادية والاجتماعية ، وترصد لهذه الحملة أموالا طائلة ، كان من الممكن توظيفها في مشاريع اقتصادية واجتماعية أكثر جدوى . . فتؤكد التقارير السرية في احد البلدان العربية أن ما يصرف على إنجاح حملة تحديد النسل في عام واحد من سيارات وأطباء وممرضين وممرضات وأدوية ومهمات وعمليات جراحية ومستشفيات وغيرها يكفى لرعاية أكثر من مليون طفل ، في حين أن زيادة الأطفال في البلد لا تتجاوز ربع مليون طفل . .

ثم إن في البلاد الإسلامية أقطارا فيها المشروعات ومجالات العمل ، وليس فيها العمال ، ومما يضطرها لاستيراد العمالة من خارج البلاد ، حتى من آسيا وأوربا لتنفيذ العمران في هذه الأقطار . .

وهناك أقطار أخرى فيها زيادة سكانية تئن منها ولا تملك رأس المال لبناء المشروعات التي تتسع لهؤلاء أو إيجاد أعمال لهم تعود عليهم وعلى الوطن بالنفع ، فماذا لو استفاد هؤلاء من سكان أولئك ليستمر الإخاء الإنساني ؟

* فضلاً عن ذلك كله ؛ فإن الثروة البشرية هي أساس التقدم والرقى لو أحسن استغلالها بدلا من التذرع بعدم وجود الإمكانيات المتاحة . . وهذا ما أثبتته تجارب الحياة اليومية من واقع البلدان المتحضرة الغنية كاليابان وغيرها . ومن هنا كانت أهمية النسل البشري الذي يتأتى من المرأة الودود الولود كما أخبرنا الرسول ﷺ .

تحريم زواج الإخوة من الرضاع

قال رسول الله [ﷺ] : « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب »

متفق عليه .

* أثبتت الأبحاث العلمية التي أجريت حديثا وجودَ أجسام في لبن الأم المرضعة الذي يترتب على تعاطيه تكوين أجسام مناعية في جسم الرضيع بعد جرعات تتراوح من ثلاث إلى خمس جرعات . . . . وهذه هي الجرعات المطلوبة لتكوين الأجسام المناعية في جسم الإنسان ، حتى في حيوانات التجارب المولودة حديثا والتي لم يكتمل نمو الجهاز المناعي عندها . . .

* فعندما ترضع اللبن تكتسب بعض الصفات الوراثية الخاصة بالمناعة من اللبن الذي ترضعه ، وبالتالي تكون مشابهة لأخيها أو لأختها من الرضاع في هذه الصفات الوراثية . ولقد وجد أن تكون هذه الجسيمات المناعية يمكن أن يؤدي إلى أعراض مرضية عند الإخوة في حالة الزواج . ومن هنا نجد الحكمة في هذا الحديث الشريف الذي نحن بصدده في تحريمه زواج الإخوة من الرضاع والذي حدد الرضعات بخمس رضعات مشبعات .

* إن القرابة من الرضاعة تثبت وتنتقل في النسل . والسبب : الوراثة ونقل الجينات ، : أي إن قرابة الرضاعة سببها انتقال جينات (عوامل وراثية) من حليب الأم واختراقها لخلايا الرضيع واندماجها مع سلسلة الجينات عند الرضيع

ويساعد على هذه النظرية : أن حليب الأم يحتوي على أكثر من نوع من الخلايا ، ومعلوم أن المصدر الطبيعي للجينات البشرية هو نواة الخلايا DNA .

كما يحتمل أن الجهاز الوراثي عند الرضيع يتقبل الجينات الغريبة لأنه غير ناضج ، حاله حال عدة أجهزة في الجسم ، لا يتم نضجها إلا بعد أشهر وسنوات من الولادة ، وإذا صح تفسير قرابة الرضاعة بهذه النظرية فإن لها تطبيقات في غاية الأهمية والخطورة .

** ** **

ثبات الشخصية

قال رسول الله [ﷺ] : « رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ وعن المبتلي حتى يبرأ وعن الصبي حتى يكبر »

صحيح الجامع . انظر الحديث في : كشف الخفا (١/٤٣٤) ـ رقم /٤٩٣١/ .

* ثبت في الطب الحديث أن خلايا الإنسان في الجلد والعضلات والعظام والعيون كلها تتجدد كل سبع سنوات مرة واحدة ما عدا الخلايا العصبية فإنها تتوقف عن النمو للإنسان عن السنة السابعة تقريباً حيث أن ١٠/٩ من المخ ينمو في تلك الفترة . وإلاّ فلو تغيرت الخلايا العصبية لتغيرت شخصية الإنسان ولكان له عدة تصرفات في يوم واحد . وهذا من بديع صنع الله ورحمته ، إذ إن الله [سبحانه] رفع التكليف عن غير المكلف وهو الذي لم يكتمل نموه بعد . . فإذا كبر الصبي ثبتت شخصيته من خلال ثبات خلاياه العصبية التي لا تزيد ولا تنقص بسبب تلف أو مرض ، وإلاّ لتعطلت وظائفه عن الحركة . . فسبحان الله جلّت قدرته قال تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

[القصص ٨٨] .

ألا يستحق ذلك سجوداً لله ؟ .

** ** **

جزيرة العرب

العالم البروفسور (الفريد كورُوز) من أشهر علماء الجيولوجيا في العالم . . حضر مؤتمراً جيولوجياً في كلية علوم الأرض في جامعة الملك عبد العزيز . . قلت له : هل عندكم حقائق أن جزيرة العرب ـ أن أرض العرب ـ كانت بساتين وأنهاراً ـ هذه الصحراء التي ترونها كانت قبل ذلك بساتين وحدائق ؟ فقال : نعم هذه مسألة معروفة عندنا . . وحقيقة من الحقائق العلمية وعلماء الجيولوجيا يعرفونها . . لأنك إذا حفرت في أي منطقة تجد الآثار التي تدلك على أن هذه الأرض كانت مروجاً وأنهاراً ، والأدلة كثيرة . . فقط لعلمكم منها قرية الفاو التي اكتشفت تحت رمال الربع الخالي . . وهناك أدلة كثيرة في هذا .

قلت له : وهل عندك دليل على أن بلاد العرب ستعود مروجاً وأنهاراً ؟ . . قال هذه مسألة حقيقية ثابتة نعرفها نحن الجيولوجيون ونقيسها ونحسبها ، ونستطيع أن نقول بالتقريب حتى يكون ذلك . . وهي مسألة ليست عنكم ببعيدة وهي قريبة . . قلت : لماذا ؟ قال : لأننا درسنا تاريخ الأرض في الماضي فوجدنا أنها تمر بأحقاب متعددة من ضمن هذه الأحقاب المتعددة . . حقبة تسمى [العصور الجليدية] . وما معنى العصر الجليدي ؟ معناه : أن كمية من ماء البحر تتحول إلى ثلج وتتجمع في القطب المتجمد الشمالي ثم تزحف نحو الجنوب وعندما تزحف نحو الجنوب تغطي ما تحتها وتغير الطقس في الأرض ، ومن ضمن تغيير الطقس تغيير يحدث في بلاد العرب ، فيكون الطقس بارداً ، وتكون بلادِ العرب من أكثر بلاد العالم أمطاراً وأنهاراً . وكنت

أربط بين السيول والأمطار في منطقة أبها وبين تلك التي تحدث في شمال أوروبا وأنا أتأمل فيما يقول .

قلت له : هل تؤكد لنا هذا ؟ قال : نعم ، هذه حقيقة لا مفر منها ! قلت له : اسمع من أخبر محمداً [ﷺ] بذلك ؟ هذا كله مذكور في حديث رواه مسلم يقول ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً » من قال لمحمد [ﷺ] إن أرض العرب كانت مروجاً وأنهاراً ؟ ! ففكر وقال : الرومان . . فقلت له : ومن أخبره بأن أرض العرب ستعود مروجاً وأنهاراً . . ففكر وفكر وقال : (فيه فوق ! !) وهنا قلت له : اكتب . . فكتب بخطه لقد أدهشتني الحقائق العلمية التي رأيتها في القرآن والسنة ، ولم نتمكن من التدليل عليها إلا في الآونة الأخيرة بالطرق العلمية الحديثة ، وهذا يدل على أن النبي محمداً [ﷺ] لم يصل إلى هذا العلم إلا بوحي علوي . .

* قال الشيخ الزنداني : أيها الإخوة الكرام : هذا موقف الملحد الكبير الألماني وقد تضاعف شعوري بمسئولية الأمة الإسلامية أمام دينها ، وأنا أرى قيادات العالم الكبار ما أن تقوم لهم الحقائق حتى يسلموا . . ليس فقط أن يسلموا بل وينشروا ويكتبوا في كتبهم دون مبالاة ، فقلت في نفسي : لو أن هناك عملا جادا من أمة الإسلام ومن الجامعات فلن تمر عشر سنوات إلا وثلث علماء الأرض في عشر سنوات أو خمس عشرة سنة من المسلمين . والله هذا الألماني مامر بيني وبينه سوى ساعتين ونصف ساعة حتى قال هذا كله . . وهذا عملاق من عمالقة العلم . ويكتب هذا ويقره ، وهذا يدل على أن هناك علماً واحداً وحقيقة واحدة وإلهاً واحداً ، وأن هناك حركة وعملاً من المسلمين قد وجد .

إن بيدنا الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، إن هذا العصر عصر خضع فيه كل شيء للعلم ، ولكننا في بدايات عصر خضوع العلم للإسلام وللقرآن، إنه الحق قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[فصلت ٥٣]

حالة الصدر في الطبقات العليا

في المؤتمر العلمي الأول عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة الذي عقد في (إسلام آباد) تقدم الدكتور صلاح الدين المغربي [وهو عضو في الجمعية الأمريكية لطب الفضاء وهو أستاذ لطب الفضاء بمعهد طب الفضاء بلندن] ببحث عن حالة الصدر في طبقات الجو العليا فقال :

لنا حويصلات هوائية ، والأوكسجين إذا دخل في الهواء ينفخ هذه الحويصلات الهوائية فنراها منتفخة ، لكن إذا صعدنا إلى طبقات الجو العليا ينقص الهواء ، وينقص الأكسجين فيقل ضغطه فتنكمش هذه الحويصلات ويقل الأكسجين فإذا انكمشت هذه الحويصلات ضاق الصدر . . يضيق . . ويتحرج التنفس ويصبح صعبا . قال : من سطح البحر إلى ٠٠٠ ، ١٠ قدم لا يحدث تغير . من ٠٠٠ ، ١٠ قدم إلى ٠٠٠ ، ١٦ قدم في هذه المنطقة يبدأ الجسم في تكييف نفسه ليعدل النقص الذي حدث والتغيير الذي حدث ومن٠٠٠ ، ١٦ قدم إلى ٢٥ ، ٠٠٠ قدم يبدأ الضيق الشديد في الصدر فيضيق الصدر ، ويصاب صاحبه بالإغماء ، ويميل إلى أن يقذف وتأخذه دوخة ، ويكون التنفس حاداً جداً ، وهذه الحالة تقع للطيار الذي تتعطل أجهزة التكييف في كابينة الطائرة ، فكلما صعد الإنسان إلى أعلى نقص الأكسجين ، فيتعذر التنفس وتتحرج العمليات الحيوية ، ويضيق الصدر لعدم وجود هواء يضغط على هذه الحويصلات الهوائية بل بعد ٢٥,٠٠٠ قدم تتمدد الغازات في المعدة فتضغط على الحجاب الحاجز ، فيضغط على الرئتين ، ويضيق الصدر . كل هذا يشير إليه المولى في قوله تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ

يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

[الأنعام ١٢٥]

يضرب مثلاً بحال من يصعد في السماء . . هل كان سيدنا محمد [ﷺ] عنده من الطيران ما يُمكِّنُهُ من معرفة تلك الحقائق ؟

** ** **

زمــزم

هل لماء زمزم ميزة على غيره في التركيب ؟

نعم ماء زمزم له مزية من حيث التركيب ، فقد قـام بعـض البـاحثين مـن الباكستانيين من فترة طويلة فأثبتوا هذا ، وقام مركـز أبحـاث الحـج بدراسـات حول ماء زمزم ، فوجدوا أن ماءَ زمزم ماءُ عجيب يختلف عن غيره .

* قال المهندس « سامي عنقاوي » مدير ـ رئيس مركز أبحاث الحج . . : عندما كنا نحفر في زمزم عند التوسعة الجديدة للحرم كنا كلما أخـذنا مـن مـاء زمزم زادنا عطاء . . كلما أخذنا من الماء زاد . . شَـغّلنا ثـلاث مضـخات لكـي ننزح ماء زمزم حتى يتيسر لنا وضع الأسس ، ثم قمنا بدراسـة لمـاء زمـزم مـن منبعه لنرى هل فيه جراثيم ؟ ! فوجدنا أنه لا يوجد فيه جرثومة واحدة ! ! نقـي طاهر ، لكن قد يحدث نوع من التلوث بعد ذلك في استعمال الآنية أو أنابيـب المياه أو الدلو ، حيث يأتي التلوث من غيره ! ، ولكنه نقي طاهر ليس فيه أدنى شيء . هذا عن خصوصيته ، ومن خصوصية ماء زمزم أيضاً أنك تجده دائماً . . ودائماً يعطي منذ عهد الرسول [ﷺ] إلى اليوم وهو يفيض .

* كم تستمر الآبار التي غير ماء زمزم ؟ ! خمسـين سـنة ، مائـة سـنة . . ويغور ماؤها وتنتهي فما بال هذا البئر دائماً لا تنفذ ماؤه ؟

قال [ﷺ] : « **ماء زمزم لما شرب له** » أخرجه أحمد .

حقاً أنا علمت علماً قاطعاً بقصة رجل من اليمن ـ أعرفه فهو صديقي ـ هذا رجل كبير ، نظره كان ضعيفاً . . بسبب كبر السن وكاد يفقد بصره ! ، وكان يقرأ القرآن وهو حريص على قراءة القرآن . . وهو يكثر من قراءة

القرآن ، وعنده مصحف صغير . . هذا المصحف لا يريد مفارقته ، ولكن ضعف نظره فكيف يفعل ؟ ! قال : سمعت أن زمزم شفاء فجئت إلى زمزم ، وأخذت أشرب منه فرأيته أنا ، أنا رأيته يأخذ المصحف الصغير من جيبه ويفتحه ويقرأ ، أي والله يفتحه ويقرأ ، وكان لا يستطيع أن يقرأ في حروف هي أكبر من مصحفه هذا ، وقال : هذا بعد شربي لزمزم . فيا أخي الكريم هذا حديث رسول الله [ﷺ] ، ولكن الدعاء شرطه أن يكون صاحبه موقناً بالإجابة ، لأن شرط الاستجابة هو : أن تحقق شرط الجواب : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة ١٨٦] .

يسرية شفيت من قرحة قرمزية في عينها اليسرى بعد استعمالها ماء زمزم

يذكر أحد الإخوة المسلمين بعد عودته من أداء فريضة الحج فيقول : حدثتني سيدة فاضلة اسمها ـ يسرية عبد الرحمن حراز ـ [كانت تؤدي معنا فريضة الحج ضمن وزارة الأوقاف] عن المعجزة التي حدثت لها ببركات ماء زمزم فقال :

إنها أصيبت منذ سنوات بقرحة قرمزية في عينها اليسرى نتج عنها صداع نصفي لا يفارقها ليل نهار ، ولا تهدئ منه المسكنات . . كما أنها كادت تفقد الرؤية تماما بالعين المصابة لوجود غشاوة بيضاء عليها . . وذهبت إلى أحد كبار أطباء العيون فأكد أنه لا سبيل إلى وقف الصداع إلا بإعطائها حقنة تقضي عليه ، وفي نفس الوقت تقضي على العين المصابة فلا ترى إلى الأبد .

وفزعت السيدة يسرية لهذا النبأ القاسي ، ولكنها كانت واثقة برحمة الله [تعالى] ومطمئنة إلى أنه سيهيئ لها أسباب الشفاء ؛ رغم جزم الطب والأطباء بتضاؤل الأمل في ذلك . . ففكرت في أداء عمرة ، كي تتمكن من التماس الشفاء مباشرة من الله عند بيته المحرم .

* وجاءت إلى مكة وطافت بالكعبة ، ولم يكن عدد الطائفين كبيرا وقتئذ ، مما أتاح لها ـ كما تقول ـ أن تقبل الحجر الأسود ، وتمس عينها المريضة به . . ثم اتجهت إلى ماء زمزم لتملأ كوبا منه وتغسل به عينها . . وبعد ذلك أتمت السعي وعادت إلى الفندق الذي تنزل به .

* فوجئت بعد عودتها إلى الفندق أن عينها المريضة أصبحت سليمة تماما ، وأن أعراض القرحة القرمزية توارت ولم يعد لها أثر يذكر .

كيف تم استئصال قرحة دون جراحة ؟ ! . . كيف تعود عين ميئوس من شفائها إلى حالتها الطبيعية دون علاج ؟ ! وعلم الطبيب المعالج بما حدث ، فلم يملك إلا أن يصيح من أعماقه : الله أكبر ، إن هذه المريضة التي فشل الطب في علاجها عالجها الطبيب الأعظم في عيادته الآلهية ، التي أخبر عنها رسوله الكريم [ﷺ] : (ماء زمزم لما شرب له) إن شربته تستشفي شفاك الله ، وإن شربته لشبعك أشبعك الله ـ وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله ، وهي هزمة[1] جبرائيل وسقيا الله إسماعيل » رواه الدارقطني والحاكم وزاد .

إخراج حصاة دون جراحة

ومثل هذه الحكاية وحكايات أخرى نسمع عنها من أصحابها أو نقرؤها ، وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على صدق ما قاله الرسول [ﷺ] عن هذه البئر المباركة زمزم .

---

(١) الهزمة : الحفر ، هزم البئر : حفرها .

فيروي صاحب هذه الحكاية الدكتور فاروق عنتر فيقول : ـ

لقد أصبت منذ سنوات بحصاة في الحالب ، وقرر الأطباء استحالة إخراجها إلا بعملية جراحية ، ولكنني أجلت إجراء العلمية مرتين . . ثم عَنَّ لي أن أؤدي عمرة ، وأسأل الله أن يمن علي بنعمة الشفاء وإخراج هذه الحصاة دون جراحة ؟

وبالفعل سافر الدكتور فاروق إلى مكة ، وأدى العمرة وشرب من ماء زمزم ، وقبل الحجر الأسود ، ثم صلى ركعتين قبل خروجه من الحرم ، فأحس بشيء يخزه في الحالب ، فأسرع إلى دورة المياه ، فإذا بالمعجزة تحدث ، وتخرج الحصاة الكبيرة ، ويشفى دون أن يدخل غرفة العمليات .

لقد كان خروج هذه الحصاة مفاجأة له وللأطباء الذين كانوا يقومون على علاجه ، ويتابعون حالته .

**   **   **

سر الجبال

الجبال كتلٌ ضخمة من الأحجار والصخور ، توجد على قطعة ضخمة كبيرة هي سطح الأرض ، الذي يتكون من نفس المادة ، فكتلة هائلة من الصخور تجثم على كتلة أخرى هي سطح الأرض ، هذا الذي يعلمه الناس عن الجبال ولكن الإنسان عندما تعمق في بصره ورأى ما تحت هذه الطبقات وما تحت قدمه وكشف الطبقات التي تتكون منها الأرض ، . وجد أن الجبال تخترق الطبقة الأولى التي يصل سمكها إلى خمسين كيلو مترا من الصخور هي قشرة الأرض يخترق هذه الطبقة ليمد جذرا له في الطبقة الثانية المتحركة تحتها وتحت أرضنا هذه طبقة أخرى تتحرك لكن الله ثبت هذه الأرض على تلك الطبقة المتحركة بجبال تخترق الطبقتين ، فتثبتها كما يثبت الوتد الخيمة بالأرض التي تحت الخيمة ، وهكذا وجدوا جذرا تحت كل جبل وكانت دهشة الباحثين والدارسين عظيمة وهم يكتشفون أن هذا كله قد سجل في كتاب الله من قبل فقال تعالى : ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ [النبأ ٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴾ [النازعات ٣٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ [لقمان ١٠] .

** ** **

ضياء الشمس ونور القمر

لقد فرق العزيز الحكيم في الآية الكريمة ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ بين أشعة الشمس والقمر ، فسمَّى الأولى ضياءً والثانية نوراً . وإذا نحن فكرنا في استشارة قاموس عصري لما وجدنا جوابا شافيا للفرق بين الضوء [الذي هو أصل الضياء] والنور ، ولوجدنا أن تعريف الضوء هو النور الذي تدرك به حاسة البصر المواد .

* وإذا بحثنا عن معنى النور : لوجدنا أن النور أصله من نار ينور نورا أي أضاء .

* فأكثر القواميس لا تفرق بين الضوء والنور ؛ بل تعتبرهما مرادفين لمعنى واحد . ولكن الخالق [سبحانه وتعالى] فرق بينهما ، فهل يوجد سبب علمي لذلك ؟

* دعنا نستعرض بعض الآيات الأخرى التي تذكر أشعة الشمس والقمر . فمثلا في الأيتين التاليتين ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ .

* نجد أن الله [سبحانه وتعالى] قد شبَّه الشمس مرة بالسراج وأخرى بالسراج الوهاج ، والسراج : هو المصباح الذي يضيء إما بالزيت أو بالكهرباء .

* أما أشعة القمر : فقد أعاد الخالق تسميتها بالنور . وإذا نحن تذكرنا في هذا الصدد معلوماتنا في الفيزياء المدرسية لوجدنا أن مصادر الضوء تقسم عادة إلى نوعين :

* مصادر مباشرة : كالشمس والنجوم والمصباح والشمعة وغيرها .

* ومصادر غير مباشرة : كالقمر والكواكب . والأخيرة هي الأجسام التي تستمد نورها من مصدر آخر مثل الشمس ثم تعكسه علينا .

* * أما الشمس والمصباح : فهما يشتركان في خاصية واحدة وهي : أنهما يعتبران مصدرا مباشرا للضوء ، ولذلك شبه الخالق الشمس بالمصباح الوهاج ولم يشبه القمر في أي من الآيات بمصباح . كذلك سمي ما تصدره الشمس من أشعة ضوءاً ، أما القمر فلا يشترك معهما في هذه الصفة .

فالقمر مصدر غير مباشر للضوء فهو يعكس ضوء الشمس إلينا فنراه ونرى أشعته التي سماها العليم الحكيم (نوراً) . ومن العجيب حقا أننا لم نستوعب هذه الدقة الآلهية في التفرقة بين ضوء الشمس ونور القمر ، فكان المفروض أن نفرق بين الضوء والنور ، ونسمى الأشعة التي تأتي من مصدر ضوئي مباشر : (بالضوء) ، وتلك التي تأتي من مصدر ضوئي غير مباشر : (بالنور) ولكنا خلطنا لغويا بين الضوء والنور ، واقتصرنا في العلوم على استخدام كلمة (الضوء) ونسينا مرادفها وهو النور ، والسبب واضح ؛ ففي الإنجليزية والفرنسية بل والألمانية ـ وهي اللغات التي جاءت عن طريقها العلوم الحديثة ـ لا يوجد إلا مرادف واحد لهذا المعنى وهو بالترتيب (Light ـ Licht ـ Lumiere) ولم يخطر ببالنا أو ببال المترجمين أن اللغة العربية أغنى منهم وأدق ، ففيها مرادفان لهذه الكلمة يجب أن نفرق بينهما تبعاً لنوعية مصدر الضوء سواءً أكان مباشراً أو غير مباشر .

فيلماً سينمائياً أعدته شركة أمريكية عن الجهود الأمريكية لغزو القمر ـ وعنوان هذا الفيلم (خطوة عملاقة لاكتشاف جيولوجيا القمر) ومن أول الفيلم إلى آخره يعرض كيف تمكن العلماء الأمريكان من أن يكتشفوا أن القمر كان مشتعلاً من قبل ، وأنه كان كتلة مشتعلة ثم بردت ، وكيف دللوا على ذلك بأن أرسلوا أجهزة إلى القمر لقياس الموجات ، وأحدثوا موجات صوتية وتحركت

الموجات في باطن القمر ، وأن قلبه مازال مشتعلا حتى الآن ، وأخذوا عينات الصخور من باطنه ومن المرتفعات ومن الجبال والوديان التي بالقمر ، وحللوا ودرسوا فوصلوا إلى نتيجة : أن القمر كان يوماً ما مشتعلا وأنه انطفأ .

فقلت في نفسي : أحسن ما يكون عنوان لهذا قول الله [سبحانه وتعالى] أو هو تفسير قول الله ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ [الإسراء ١٢] .

قال علماء المسلمين منهم ابن عباس وغيره : آية الليل : القمر ، وآية النهار : الشمس ، أما ﴿ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ ﴾ فقال : لقد كان القمر يضيء ثم محي ضوؤه ﴿ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ لذا يقول الله [جل وعلا] ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ [الفرقان ٦١] . لو كان هذا القرآن من عند محمد . . من عند بشر لقال وجعل فيها : سراجين . سراجاً بالنهار وسراجاً بالليل . إنه سراج حار وسراج بارد ، ومن يكذبه ؟ ولكنه من عند العليم الحكيم قال : ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا ﴾ . أي الشمس ، و﴿ وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ .

وذكر إنارة القمر بعد ذكر السراج يدل على أن القمر يستنير بنور السراج . فسبحان الله العظيم .

** ** **

طبقات الأرض

لو زاد سمك الطبقة العليا من الأرض بضعة كيلو مترات لاستهلك الأكسجين الموجود الآن كله في تكون الزيادة في قشرة الأرض ، وإذاً لما وَجَدَ نبات أو حيوان ثاني أكسيد الكربون ، كما أن الأكسجين يكون ٨٨,٨% من وزن الماء في العالم ، والباقي أيدروجين ، فلو أن كمية الأيدروجين زادت الضعف عند انفصال الأرض لما وجد إذن أكسجين ، ولكان الماء غامراً الآن في كل نقطة في الأرض . ولو يطول اليوم قدر ما هو عليه عشر مرات لأحرقت الشمس كل نبات على وجه الأرض .

* فمن قدر الليل والنهار على الأرض ليناسب حياة مَنْ عليها ؟ ! ! مع العلم أن بعض الكواكب نهارها أطول من نهارنا عشرات المرات وبعضها قد أصبح جزء منها نهاراً دائماً والجزء الآخر ليلاً دائماً .

قال الأستاذ الدكتور منصور محمد حسب النبي [رئيس قسم الفيزياء في جامعة عين شمس] : إن العلم لا يعرف إلى الآن ماهي السماوات والأرضون السبع ، ولكننا نستطيع أن نفهم ذلك من الآيات القرآنية مثل قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق ١٢] .

* هناك ستة أرضين أخرى غير أرضنا ، ولكل أرض سماؤها التي تعلوها ، ومما يؤيد هذا التفسير قول سيدنا الرسول المصطفى محمد [ﷺ] : « اللهم رب السماوات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن » مما يفيد بأن لكل أرض سماء تعلوها ، وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ وأن

هذه الأرضين والسماوات يتنزل بينهن الأمر الإلهي المشار إليه في الآية الكريمة أعلاه ، الذي لا بد أن يكون موجها إلى كائنات عاقلة موجودة على هذه الأرضين الست الأخرى ، التي قد يتمكن العلماء في المستقبل من الكشف عنها بقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى ٢٩] .

وفي ذلك إشارة إلى احتمال التقاء العوالم المختلفة في الحياة الدنيا أو في الآخرة . . علما أن عبارة ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ قد تكررت في القرآن الكريم سبع مرات كالآتي :

سورة الفاتحة : ٢

سورة الأنعام : ٤٥

سورة يونس : ١٠

سورة الصافات : ١٨٢

سورة الزمر : ٧٥

سورة غافر : ٦٥

سورة الجاثية : ٣٦

وهذا التوافق في العدد يعضد ما جاء أعلاه في وجود السماوات والأرضين السبع خاصة أن الآية الأخيرة قوله تعالى : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ أي أنه رب العوالم الفلكية إضافة إلى كونه هو رب العوالم الأخرى .

** ** **

عرش بلقيس

قال تعالى : ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ . سورة النمل آية (٤٠).

قصة سليمان [عليه السلام] وبلقيس [ملكة سبأ] وموضوع نقل العرش؛ لم يكن إلا ضرباً من ضروب السحر فكيف يتمكن مخلوق من إحضار عرش ملكة سبأ في ذلك العصر من على بعد آلاف الكيلو مترات في جزء من ثانية ، أي قبل أن يرتد إلى سليمان طرفه ؟ هذا ما ظنه الكثيرون .

* ولكن العلم الحديث يخبرنا بأن هذا لا يتحتم أن يكون سحراً ! فحدوثه ممكن من الناحية العلمية أو على الأقل من الناحية النظرية ، بالنسبة لمقدرتنا في القرن العشرين . أما كيف يحدث ذلك فهذا هو موضوعنا . .

الطاقة والمادة صورتان مختلفتان لشيءٍ واحد . فالمادة : يمكن أن تتحول إلى طاقة ، والطاقة إلى مادة ، وذلك حسب المعادلة المشهورة ، وقد نجح الإنسان في تحويل المادة إلى طاقة وذلك في المفاعلات الذرية التي تولد لنا الكهرباء ، ولو أن تحكمه في هذا التحويل لا يزال يمر بأدوار تحسين وتطوير ، وكذلك فقد نجح الإنسان ـ ولو بدرجة أقل بكثير ـ من تحويل الطاقة إلى مادة وذلك في معجلات الجسيمات Particle accelerator ولو أن ذلك مازال يتم حتى الآن على مستوى الجسيمات .

* فتحول المادة إلى طاقة والطاقة إلى مادة : أمرٌ ممكن علمياً وعملياً ، فالمادة والطاقة قرينان ، ولا يعطل حدوث هذا التحول على نطاق واسع إلا صعوبة حدوثه والتحكم فيه تحت الظروف والإمكانيات العلمية والعملية

الحالية ، ولا شك أن التوصل إلى الطرق العلمية والوسائل العملية المناسبة لتحويل الطاقة إلى مادة والمادة إلى طاقة في سهولة ويسر يستدعي تقدماً علمياً وفنياً هائلين . فمستوى مقدرتنا العلمية والعملية حالياً في هذا الصدد ليس إلا كمستوى طفل يتعلم القراءة ، فإذا تمكن الإنسان في يوم من الأيام من التحويل السهل الميسور بين المادة والطاقة ؛ فسوف ينتج عن ذلك تغيرات جذرية بل وثورات ضخمة في نمط الحياة اليومي .

وأحد الأسباب : أن الطاقة ممكن إرسالها بسرعة الضوء على موجات ميكرونية إلى أي مكان نريد ، ثم نعود فنحولها إلى مادة ! وبذلك نستطيع أن نرسل أي جهاز أو حتى منزلا بأكمله إلى أي بقعة نختارها على الأرض أو حتى على القمر أو المريخ في خلال ثوان أو دقائق معدودة .

والصعوبة الأساسية التي يراها الفيزيائيون لتحقيق هذا الحلم : هي في ترتيب جزيئات أو ذرات المادة في الصورة الأصلية تماما ، كل ذرة في مكانها الأول الذي شغلته قبل تحويلها إلى طاقة لتقوم بوظيفتها الأصلية .

وهناك صعوبة أخرى هامة يعاني منها العلم الآن وهي : كفاءة والتقاط الموجات الكهرومغناطيسية الحالية والتي لاتزيد على ٦٠% وذلك لتبدد أكثرها في الجو . كل هذا كان عرضا سريعا لموقف العلم وإمكانياته الحالية في تحويل المادة إلى طاقة والعكس . .

فلنعد الآن لموضوع نقل عرش الملكة بلقيس ؛ فالتفسير المنطقي لما قام به الذي عنده علم من الكتاب ـ سواء أكان إنسيًّا أو جّنياً ـ حسب علمنا الحالي أنه قام أولاً:

بتحويل عرش ملكة سبأ إلى نوع من الطاقة ليس من الضروري أن يكون في صورة طاقة حرارية مثل الطاقة التي نحصل عليها من المفاعلات الذرية الحالية ذات الكفاءة المنخفضة ، ولكن طاقة تشبه الطاقة الكهربائية أو الضوئية يمكن إرسالها بواسطة الموجات الكهرومغناطيسية .

والخطوة الثانية : هي أنه قـام بإرسـال هـذه الطاقـة مـن سـبأ إلى ملـك سليمان ، ولأن سرعة انتشـار الموجـات الكهرومغناطيسـية هـي نفـس سـرعة انتشار الضوء أي ٣٠٠,٠٠٠ كم ـ ثانية فزمن وصولها عند سليمان كان مساوياً لـ (١/١٠٠) الثانية ، هكذا الحساب .

والخطوة الثالثة والأخيرة : أنه حول هذه الطاقة عنـد وصـولها إلى مـادة مرة أخرى في نفس الصورة التي كانت عليهـا ، أي : أن كـل جـزئ وكـل ذرة رجعت إلى مكانها الأول ! .

* إن إنسان القرن العشرين ليعجز عن القيام بما قام به هذا الذي عنده علم من الكتاب منذ أكثر من ألفي عام . فمقدرة الإنسان الحالي لا تتعدى محاولة تفسير فهم ماحدث . فما نجح فيه إنسان القرن العشرين هو تحويل جزء من مادة العناصر الثقيلة مثل اليورانيوم إلى طاقة بواسطة الانشطار في ذرات هذه العناصر . أما التفاعلات النووية الأخرى التي تتم بتلاحم ذرات العناصر الخفيفة مثل الهيدروجين والهليوم والتي تولد طاقات الشمس والنجوم ؛ فلم يستطع الإنسان حتى الآن التحكم فيها . وحتى إذا نجح الإنسان في التحكم في طاقة التلاحم الذري ، فلا تزال الطاقة المتولدة في صورة بدائية يصعب إرسالها مسافات طويلة دون تبديد الشطر الأكبر منها . فتحويل المادة إلى موجات ميكرونية يتم حالياً بالطريقة البشرية في صورة بدائية تستلزم تحويل المادة إلى طاقة حرارية ، ثم إلى طاقة ميكانيكية ، ثم إلى طاقة كهربائية ، وأخيراً : إرسالها على موجات ميكرونية .

ولهذا السبب نجد أن الشطر الأكبر من المادة التي بدأنا بها تبددت خلال هذه التحويلات ، ولا يبقى إلا جزء صغير نستطيع إرساله عن طريق الموجات الميكرونية . فكفاءة تحويل المادة إلى طاقة حرارية ثم إلى طاقة ميكانيكية ثم إلى طاقة كهربائية لن يزيد عن عشرين في المائة ٢٠ % حتى إذا تجاوزنا عن الضعف التكنولوجي الحالي في تحويل اليورانيوم ، إلى طاقة فالذي يتحول إلى

طاقة هو جزء صغير من كتلة اليورانيوم أما الشطر الأكبر فيظل في الوقود النووي يشع طاقته على مدى آلاف وملايين السنين متحولا إلى عناصر أخرى تنتهي بالرصاص . وليس هذا بمنتهى القصد ! ففي الطرف الآخر يجب التقاط وتجميع هذه الموجات ثم إعادة تحويلها إلى طاقة ، ثم إلى مادة كل جزئ وكل ذرة وكل جسيم إلى نفس المكان الأصلي ، وكفاءة تجميع هذه الأشعة الآن وتحويلها إلى طاقة كهربائية في نفس الصورة التي أرسلت بها قد لا تزيد عن ٥٠ ٪ أي أنه ما تبقى من المادة الأصلية حتى الآن بعد تحويلها من مادة إلى طاقة وإرسالها عن طريق الموجات الكهرومغناطيسية المكرونية واستقبالها وتحويلها مرة أخرى إلى طاقة هو ١٠ ٪ وذلك قبل أن نقوم بالخطوة النهائية وهي تحويل هذه الطاقة إلى مادة . وهذه الخطوة الأخيرة ـ [أي تحويل هذه الطاقة إلى مادة في صورتها الأولى] ـ هو ما يعجز عنه حتى الآن إنسان القرن العشرين .

ولذلك فنحن لا ندري كفاءة إتمام هذه الخطوة الأخيرة . وإذا فرضنا أنه تحت أفضل الظروف تمكن الإنسان من تحويل ٥٠ ٪ من هذه الطاقة المتبقية إلى مادة فالذي سوف نحصل عليه هو أقل من ٥٪ من المادة التي بدأنا بها ، ومعنى ذلك أننا إذا بدأنا بعرش الملكة بلقيس وحولناه بطريقة ما إلى طاقة وأرسلنا هذه الطاقة على موجات ميكرونية ، ثم استقبلنا هذه الموجات وحولناها إلى طاقة مرة أخرى أو إلى مادة ؛ فلن نجد لدينا أكثر من ٥٪ من عرش الملكة بلقيس ، وأما الباقي فقد تبدد خلال هذه التحويلات العديدة نظراً للكفاءات الرديئة لهذه العمليات ، وهذه الـ ٥٪ من المادة الأصلية لن تكفي لبناء جزء صغير من عرشها مثل رجل أو يد كرسي عرش الملكة . إن الآيات القرآنية لا تحدد شخصية هذا الذي كان ﴿ عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ هل كان إنسياً أم جنياً ! وقد ذكر في كثير من التفاسير أن الذي قام بنقل عرش بلقيس هو من الإنس ويدعى (آصف بن برخياء) ، ونحن نرجح أن الذي قام بهذا العمل هو

عفريت آخر من الجن ، فاحتمال وجود إنسان في هذا العصر على هذه الدرجة الرفيعة من العلم والمعرفة هو احتمال جد ضئيل ، فقد نجح هذا الجني في تحويل عرش بلقيس إلى طاقة ثم إرساله مسافة آلاف الكيلو مترات ثم إعادة تحويله إلى صورته الأصلية من مادة تماماً كما كان في أقل من ثانية ، أو حتى في عدة ثوان إذا اعتبرنا عرض الجني الأول الذي أبدى استعداده لإحضار العرش قبل أن يقوم سليمان [عليه السلام] من كرسيه . فمستوى معرفة وقدرة أي من الجنيين الأول والثاني منذ نيف وألفي عام لأرفع بكثير من مستوى المعرفة والقدرة الفنية والعلمية التي وصل إليها إنسان القرن العشرين .

* **والحقيقة الناصعة** : أن هذا النقل قد تم بقدرة الله وما أودعه من علم الكتاب لدى مخلوق ، على درجة من القرب الإلَهي وقيل : إنه كان يحفظ الاسم الأعظم ،فهو كرامة لولي من أولياء الله ، كما أن المعجزة كذلك تأييد الإلَهي لفاعله .

* فكان هذا العمل تكريماً لسليمان ـ عليه السلام ـ حيث طلب ممن هو أدنى منه ، ولقد أعطي سليمان الريح ، وخدمه الجن وكانوا تحت أمره ، وهم أصحاب طاقة هائلة ، وهذا ما صرح به القرآن الكريم ، فهي كرامة أو معجزة ، ليقول الناس : إن قدرة الله لا يحدها بلد ولا إنسان ولا ملك ، ولله في خلقه شؤون .

وأي تفسير غير هذا فهو من قبيل التخرص والظن ــ والشطح غير الصحيح .

** ** **

علة تحريم أكل لحم الجوارح وكل ذي ناب

قال ﷺ : « حرم على أمتي كل ذي مخلب من الطير وكل ذي ناب من السباع » رواه أبو داود .

* أثبت علم التغذية الحديثة أن الشعوب تكتسب بعض صفات الحيوانات التي تأكلها لاحتواء لحومها على سميات ومفرزات داخلية تسري في الدماء ، وتنتقل إلى معدة البشر فتؤثر في أخلاقياتهم . . فقد تبين أن الحيوان المفترس عندما يهم باقتناص فريسته تفرز في جسمه هرمونات ومواد تساعده على القتال واقتناص الفريسة . .

ويقول الدكتور (ليبج) أستاذ علم التغذية في بريطانيا : إن هذه الإفرازات تخرج في جسم الحيوان حتى وهو حبيس في قفص عندما تقدم له قطعة لحم لكي يأكلها . . ويعلل نظريته هذه بقوله : ما عليك إلا أن تزور حديقة الحيوانات مرة وتلقى نظرة على النمر في حركاته العصبية الهائجة أثناء تقطيعة قطعة اللحم ومضغها ، فترى صورة الغضب والاكفهرار المرسومة على وجهه ، ثم ارجع ببصرك إلى الفيل وراقب حالته الوديعة عندما يأكل وهو يلعب مع الأطفال والزائرين ، وانظر إلى الأسد وقارن بطشه وشراسته بالجمل ووداعته .

وقد لوحظ على الشعوب آكلات لحوم الجوارح أو غيرها من اللحوم التي حرم الإسلام أكلها ـ أنها تصاب بنوع من الشراسة والميل إلى العنف ولو دون سبب إلا الرغبة في سفك الدماء . . ولقد تأكدت الدراسات والبحوث من

هذه الظاهرة على القبائل المتخلفة ، التي تستمرئ أكل مثـل تلـك اللحـوم إلى حد أن بعضها يصاب بالضراوة فيأكل لحوم البشر . كما انتهت تلك الدراسـات والبحوث أيضا إلى ظاهرة أخرى في هـذه القبائـل وهـي : إصـابتها بنـوع مـن الفوضى الجنسية ، وانعدام الغيرة على الجنس الآخر ، فضلاً عن عدم احتـرام نظام الأسرة ومسألة العرض والشرف . . وهـي : حالـة أقـرب إلى حيـاة تلـك الحيوانات المفترسة ؛ حيث أن الذكر يهجم على الذكر الآخر من القطيع ويقتله لكي يحظى بإناثه إلى أن يأتي ذكر آخر أكثر شبابا وحيويـة وقـوة فيقتـل الـذكر المغتصب السابق وهكذا . .

ولعل أكل الخنزير أحد أسباب انعدام الغـيرة الجنسـية بـين الأوربـيين ، وظهور الكثير من حالات ظواهر الشذوذ الجنسي مثل تبادل الزوجات والزواج الجماعي . ومن المعلوم أن الخنزير إذا ربى ولو في الحظائر النظيفـة ـ فإنـه إذا ترك طليقا لكي يرعى في الغابات فإنه يعود إلى أصله فيأكل الجيفة والميتة التي يجدها في طريقة ، بل يستلذ بها أكثر من البقول والبطـاطس الـتي تعـوّد علـى أكلها في الحظائر النظيفة المعقمة ، وهذا هو السبب في احتواء جسـم الخنزيـر على ديدان وطفيليات وميكروبات مختلفـة الأنـواع ، فضـلا عـن زيـادة نسـبة حامض البوليك التي يفرزها ، والتي تنتقل إلى جسم من يأكـل لحمـه . . كمـا يحتوي لحم الخنزير على أكبر كمية من الدهن مـن بـين جميـع أنـواع اللحـوم المختلفة ؛ مما يجعل لحمه عسير الهضم . .

* فمن المعروف علميا أن اللحوم التي يأكلـها الإنسـان تتوقـف سـهولة هضمها في المعدة علـى كميـات الـدهنيات الـتي تحويهـا ، وعلـى نـوع هـذه الدهون ، فكلما زادت كمية الدهنيات كان اللحـم أصـعب في الهضـم ، وقـد جاء في الموسوعة الأمريكية أن كل مائة رطل من لحـم الخنزيـر تحتـوي علـى خمسين رطلا من الدهن . . أي بنسبة ٥٠ % في حين أن الدهن في الضأن يمثل نحو ١٧ % فقط وفي العجول لا يزيد عن ٥ % كمـا ثبـت بالتحليـل أن دهـن

الخنزير يحتوي على نسبة كبيرة من الأحماض الدهنية المعقدة . . وأن نسبة الكولسترول في دهن الخنزير إلى الضأن وإلى العجول ٦ : ٧ : ٩ ومعنى ذلك بحساب بسيط أن نسبة الكولسترول في لحم الخنزير أكثر من عشرة أضعاف ما في البقر . . ولهذه الحقيقة دلالة خطيرة لأن هذه الدهنيات تزيد مادة الكولسترول في دم الإنسان ، وهذه المادة عندما تزيد عن المعدل الطبيعي تترسب في الشرايين وخصوصا شرايين القلب ، وبالتالي تسبب تصلب الشرايين وارتفاع الضغط ، وهي السبب الرئيسي في معظم حالات الذبحة القلبية المنتشرة في أوروبا ؛ حيث ظهر من الإحصاءات التي نشرت بصدد مرض الذبحة القلبية وتصلب الشرايين أن نسبة الإصابة بهذين المرضين في أوروبا تعادل خمسة أضعاف النسبة في العالم الإسلامي ، وذلك بجانب تأثير التوتر العصبي الذي لا ينكره العلم الحديث .

* ومما هو جدير بالذكر : أن آكلات اللحوم تعرف علميا بأنها ذات الناب [التي أشار إليها الحديث الشريف الذي نحن بصدده] لأن لها أربعة أنياب كبيرة في الفك العلوي والسفلي . . وهذا لا يقتصر على الحيوانات وحدها بل يشمل الطيور أيضا إذ تنقسم إلى : ـ

* * آكلات العشب والنبات : كالدجاج والحمام . .

* * وإلى آكلات اللحوم : كالصقور والنسور .

وللتمييز العلمي بينهما يقال : إن الطائر آكل اللحوم له مخلب حاد ولا يوجد هذا المخلب في الطيور المستأنسة الداجنة ، ومن المعلوم أن الفطرة الإنسانية بطبيعتها تنفر من أكل لحم الحيوانات او الطيور آكلة اللحوم إلا في بعض المجتمعات التي يقال عنها إنها مجتمعات متحضرة أو في بعض القبائل المتخلفة كما سبق أن أشرنا .

* ومن الحقائق المذهلة : أن الإسلام قد حدد هذا التقسيم العلمي ونبه إليه منذ أربعة عشر قرنا من الزمان .

[انظر كتاب الحظر والإباحة ؛ فيما يجوز وما يباح وما يحرم أكله ففيه الغنية والكفاية ، وهو دليل على سمو ورقيء التشريع الإسلامي] .

فضل مكة على سائر البقاع

قال ﷺ : « **إن مكة هي أحب بلاد الله إلى الله** » .

* الاكتشاف العلمي الجديد الذي كان يشغل العلماء والذي أعلن في يناير ١٩٧٧ يقول : إن مكة المكرمة هي مركز اليابسة في العالم ، وهذه الحقيقة الجديدة استغرقت سنوات عديدة من البحث العلمي للوصول إليها ، واعتمدت على مجموعة من الجداول الرياضية المعقدة ، استعان فيها العلماء بالحاسب الآلي .

ويروي العالم المصري الدكتور (حسين كمال الدين) قصة الاكتشاف الغريب فيذكر : أنه بدأ البحث وكان هدفه مختلفا تماما ، حيث كان يجري بحثا ليعد وسيلة تساعد كل شخص في أي مكان من العالم ، على معرفة وتحديد مكان القبلة ، لأنه شعر في رحلاته العديدة للخارج أن هذه هي مشكلة كل مسلم عندما يكون في مكان ليست فيه مساجد تحدد مكان القبلة ، أو يكون في بلاد غريبة ، كما يحدث لمئات الآلاف من طلاب البعثات في الخارج ، لذلك فكر الدكتور (حسين كمال الدين) في عمل خريطة جديدة للكرة الأرضية لتحديد اتجاهات القبلة عليها ، وبعد أن وضع الخطوط الأولى في البحث التمهيدي لإعداد هذه الخريطة ورسم عليها القارات الخمس ؛ ظهر له فجأة هذا الاكتشاف الذي أثار دهشته . . فقد وجد العالم المصري أن موقع مكة المكرمة في وسط العالم . . وأمسك بيده (فرجاراً) وضع طرفه على مدينة مكة ، ومر بالطرف الآخر على أطراف جميع القارات فتأكد له أن اليابسة على سطح الكرة الأرضية موزعة حول مكة توزيعا منتظما . . ووجد مكة - في هذه الحالة - هي مركز الأرض اليابسة . وأعد خريطة العالم القديم قبل اكتشاف

أمريكا وأستراليا ـ وكرر المحاولة فإذا به يكتشف أن مكة هي أيضا مركز الأرض اليابسة ، حتى بالنسبة للعالم القديم يوم بدأت الدعوة للإسلام . .

* ويضيف العالم الدكتور (حسين كمال الدين) : لقد بدأت بحثي برسم خريطة تحسب أبعاد كل الأماكن على الأرض ، عن مدينة مكة ، ثم وصلت بين خطوط الطول المتساوية لأعرف كيف يكون إسقاط خطوط الطول وخطوط العرض بالنسبة لمدينة مكة ، وبعد ذلك رسمت حدود القارات وباقي التفاصيل على هذه الشبكة من الخطوط ، واحتاج الأمر إلى إجراء عدد من المحاولات والعمليات الرياضية المعقدة ، بالاستعانة بالحاسب الآلي لتحديد المسافات والانحرافات المطلوبة ، وكذلك احتاج الأمر إلى برنامج للحاسب الآلي لرسم خطوط الطول وخطوط العرض ، لهذا لإسقاط الجديد . . وبالصدفة وحدها اكتشفت أنني أستطيع أن أرسم دائرة يكون مركزها مدينة مكة وحدودها خارج القارات الأرضية الست ، ويكون محيط هذه الدائرة يدور مع حدود القارات الخارجية .

مكة إذن ـ بتقدير الله ـ هي قلب الأرض ، وهي بعض ما عبر عنه العلم في اكتشاف العلماء بأنه مركز التجمع الإشعاعي للتجاذب المغناطيسي .

يوائمه ظاهرة عجيبة ، قد تذوقها كل من زار مكة حاجا أم معتمرا بقلب منيب؛ فهو يحس أنه ينجذب فطريا إلى كل ما فيها . . أرضها . . وجبالها وكل ركن فيها . . حتى ليكاد لو استطاع أن يذوب في كيانها مندمجا بقلبه وقالبه . .

* وهذا إحساس مستمر منذ بدء الوجود الأرضي . . والأرض شأنها شأن أي كوكب آخر ، تتبادل مع الكواكب والنجوم قوة جذب تصدر من باطنها . . وهذا الباطن يتركز في مركزها و يصدر منه ما يمكن أن نسميه (إشعاعاً) . . ونقطة الالتقاء الباطنية هي التي وصل إليها عالم أمريكي في علم الطوبوغرافيا بتحقيق وجودها وموقعها جغرافيا ، وهو غير مدفوع لذلك بعقيدة دينية ؛ فقد قام في معمله بنشاط كبير مواصلا ليله بنهاره وأمامه خرائط الأرض وغيرها من

ألآت وأدوات فإذا به يكتشف ـ عن غير قصد ـ مركز تلاقي الإشعاعات الكونية هو مكة . . ومن هنا تظهر حكمة الحديث الشريف المبنية على قول الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الشورى ٧] .

ومن ثم يمكن التعرف على الحكمة الآلهية في اختيار مكة بالذات ليكون فيها بيت الله الحرام ، واختيار مكة بالذات لتكون نواةً لنشر رسالة الإسلام للعالم كله . . وفي ذلك من الإعجاز العلمي في الحديث الذي أظهر أفضلية مكانها عن سائر البقاع .

** ** **

مرض يصيب المرأة المتبرجة

قال ﷺ : « **نساء كاسيات عاريات ، مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها** » رواه أبو داود . وقال أيضا : « **لا تقبل صلاة حائض إلا بخمار** » رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه .

* لقد أثبتت البحوث العلمية الحديثة أن تبرج المرأة وعريها يعد وبالاً عليها حيث أشارت الإحصائيات الحالية إلى انتشار مرض السرطان الخبيث في الأجزاء العارية من أجساد النساء ولا سيما الفتيات اللآتي يلبسن الملابس القصيرة . فلقد نشر في المجلة الطبية البريطانية : أن السرطان الخبيث (الميلانوما) الخبيثة والذي كان من أندر أنواع السرطان أصبح الآن في تزايد ، وأن عدد الإصابات في الفتيات في مقتبل العمر يتضاعف حالياً حيث يصبن به في أرجلهن ، وأن السبب الرئيسي لشيوع هذا السرطان الخبيث هو : انتشار الأزياء القصيرة التي تعرض جسد النساء لأشعة الشمس فتراتٍ طويلةً على مر السنة ، ولا تفيد الجوارب الشفافة أو النايلون في الوقاية منه . . وقد ناشدت المجلة أطباء الأوبئة أن يشاركوا في جمع المعلومات عن هذا المرض وكأنه يقترب من كونه وباءً . إن ذلك يذكرنا بقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال ٣٢] .

ولقد حل العذاب الأليم أو جزء منه في صورة السرطان الخبيث الذي هو أخبث أنواع السرطان ، وهذا المرض ينتج عن تعرض الجسم لأشعة الشمس والأشعة فوق البنفسجية فترات طويلة ، وهو ما توفره الملابس القصيرة أو

ملابس البحر على الشواطئ ، ويلاحظ أنه يصيب كافة الأجساد وبنسب متفاوتة ويظهر أولاً كبقعة صغيرة سوداء وقد تكون متناهية الصغر وغالباً في القدم أو الساق ، وأحياناً بالعين ، ثم يبدأ بالانتشار في كل مكان واتجاه ، مع أنه يزيد وينمو في مكان ظهوره الأول فيهاجم العقد الليمفاوية بأعلى الفخذ ، ويغزو الدم ويستقر في الكبد ويدمرها . . وقد يستقر في كافة الأعضاء ومنها العظام والأحشاء بما فيها الكليتان ، ولربما يعقب غزو الكليتين البول الأسود نتيجة لتهتك الكلى بالسرطان الخبيث الغازي . . وقد ينتقل للجنين في بطن أمه ولا يمهل هذا المرض صاحبه طويلاً ، كما لا يمثل العلاج بالجراحة فرصة للنجاة كباقي أنواع السرطان ؛ حيث لا يستجيب هذا النوع من السرطان للعلاج بجلسات الأشعة .

* من هنا تظهر حكمة التشريع الإسلامي في ارتداء المرأة للزي المحتشم الذي يستر جسدها جميعه بملابس واسعة غير ضيقة ولا شفافة ، مع السماح لها بكشف الوجه واليدين .

* * فلقد صار واضحاً : أن ثياب العفة والاحتشام هي خير وقاية من عذاب الدنيا المتمثل في هذا المرض ، فضلاً عن عذاب الآخرة .

* * ثم هل بعد تأييد نظريات العلم الحديث لما سبق أن قرره الشرع الحكيم من حجج يحتج بها لسفور المرأة وتبرجها ؟ ؟

** ** **

مصافحة المرأة الرجل

* قالوا : ماذا لو صافحت المرأة الرجل ؟

* قال علم التشريح : هناك خمسة ملايين خلية في الجسم تغطي السطح . . كل خلية من هذه الخلايا تنقل الأحاسيس فإذا لامس جسم الرجل جسم المرأة سرى بينهما اتصال يثير الشهوة.

* وأضاف قائلاً علم التشريح : حتى أحاسيس الشم ، فالشم قد ركب تركيباً يرتبط بأجهزة الشهوة ، فإذا أدرك الرجل أو المرأة شيئاً من الرائحة سرى ذلك في أعصاب الشهوة .

وكذلك السماع وأجهزة السمع ؛ مرتبطة بأجهزة الشهوة ، فإذا سمع الرجل أو سمعت المرأة مناغمات من نوع معين كأن يحدث نوع من الكلام المتصل بهذه الأمور أو يكون لين في الكلام من المرأة : فإن كله يترجم ويتحرك إلى أجهزة الشهوة !

وهذا كلام رجال التشريح المادي من الطب ؛ يبينونه ويدرسونه تحت أجهزتهم وآلاتهم ، ونحن نقول : سبحان الله الحكيم ، الذي صان المؤمنين والمؤمنات فأغلق عليهم منافذ الشيطان وطرق فساده ، قال تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور ٣٠] .

** ** **

موج من فوقه موج

هذه حقيقة تم الوصول إليها بعد إقامة مئات من المحطات البحرية . . والتقاط الصور بالأقمار الصناعة . . والذي قال هذا الكلام هو البروفيسور (شرايدر) وهو من أكبر علماء البحار بألمانيا الغربية . . كان يقول :

* إذا تقدم العلم فلا بد أن يتراجع الدين . . لكنه عندما سمع معاني آيات القرآن بهت وقال : إن هذا لا يمكن أن يكون كلام بشر . .

ويأتي البروفيسور (دورجاروا) أستاذ علم جيولوجيا البحار ليعطينا ما وصل إليه العلم في قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَـٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [النور ٤٠] .

* فيقول : لقد كان الإنسان في الماضي لا يستطيع أن يغوص دون استخدام الآلات أكثر من عشرين مترا . . ولكننا نغوص الآن في أعماق البحار بواسطة المعدات الحديثة ؛ فنجد ظلاما شديدا على عمق مائتي متر . . الآية الكريمة تقول : ﴿ بَحْرٍ لُّجِّىٍّ ﴾ كما أعطتنا اكتشافات أعماق البحار صورة لمعنى قوله تعالى : ﴿ ظُلُمَـٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ فالمعروف أن ألوان الطيف سبعة . . . منها الأحمر والأصفر والأزرق والأخضر والبرتقالي إلى آخره . . فإذا غصنا في أعماق البحر فإنها سوف تختفي هذه الألوان واحدا بعد الآخر . . واختفاء كل لون يعطي ظلمة . . فالأحمر يختفي أولا ثم البرتقالي ثم الأصفر . . وآخر الألوان اختفاء هو اللون الأزرق على عمق مائتي متر . . كل لون يختفي يعطي جزءا من الظلمة حتى تصل إلى الظلمة الكاملة . . أما قوله تعالى : ﴿ مَوْجٌ مِّن

فَوۡقِهِۦ مَوۡجٌ ﴾ فقد ثبت علميا أن هناك فاصلا بين الجزء العميق من البحر والجزء العلوي . . وأن هذا الفاصل ملئ بالأمواج فكأن هناك أمواجاً على حافة الجزء العميق المظلم من البحر وهذه لا نراها ، وهناك أمواج على سطح البحر وهذه نراها . . فكأنها موج من فوقه موج . . وهذه حقيقة علمية مؤكدة ولذلك قال البروفيسور (دورجاروا) عن هذه الآيات القرآنية : إن هذا لا يمكن أن يكون علما بشريا .

وختاماً : فإن العلم نور ، يهدي به الله من اتبع رضوانه ، ويكون له حافزاً إلى مزيد من المعرفة والإيمان .

فإلى موائد الله ، وإلى نوره الحق ، على طريق الرشاد نلتقي .

والحمد لله بدءاً واختتاماً .

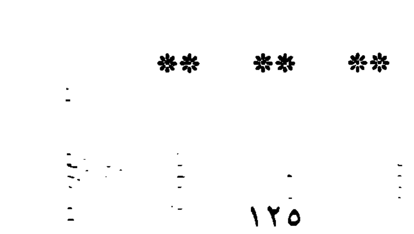
المدقق :

الأستاذ عبد الله سنده

المصادر والمراجع

- " آيات قرآنية في مشكاة العلم " .
- " الأدلة المادية على وجود الله " .
- " وهذا عصر الإيمان " .
- " العلاج هو الأسلام " .
- " العلم طريق الإيمان " .
- " الإعجاز العلمي في الإسلام والسنة النبوية " .
- " الأدلة المادية على وجود الله " .
- " مجلة الإصلاح " العدد ٢٩٦ سنة ١٩٩٤
- " مجلة الإصلاح " العدد ٣٢٥ سنة ١٥_٧_١٩٩٥
- " أنت تسأل والشيخ الزنداني يجيب حول الإعجاز العلمي في القرآن والسنة"
- " وفي انفسكم أفلا تبصرون " .
- " كتاب توحيد الخالق " .
- " العلوم في القرآن " .

** ** **



المحتويات

** ** **

في هذا لكتاب

الإعجاز العلمي في القرآن

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسوله ، رحمة للعالمين ، وهدى للأنام وبعد :

فإن لكــل داء دواء ، وما أنــزل من داء إلا وأنـزل له دواء ، عرفه من عرف ، وجهله من جهل .

والقرآن شفاء ، وعلاج ومنهج وتعليم واسترشاد ((وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)) فهو الشفاء والهدى والرشاد ، وهو المنهج في الدنيا والآخرة .

وفي هذا الكتاب علاج الأمراض الحسية والروحية والنفسية ، جاءت من رب العالمين ، ورسوله الأمين فإلى تلك الرياض النضرة ، وبالصحة والعافية .

والحمد لله بدءاً واختتاماً .



تصميم الغلاف مازن معايري